تاريخ ابن خلدون

المجلد الثانى

ص 419-517

أبي وداعة السهمى، وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية. فجعل يحرض على رسول الله ، وينشد الأشعار، ويبكي على أصحاب القليب. ثم رجع إلى المدينة، فشبب بعاتكة، ثم شبب بنساء المسلمين. فقال رسول الله من يقتل كعب بن الأشرف؟ فانتدب لذلك محمد بن مسلمة وملكان بن سلامة بن وقش، وأبو نائلة من بني عبد الأشهل، أخو كعب من الرضاعة، وعباد بن بشر بن وقش بن بشر بن معاذ، وأبو عبس بن جبر من بمي حارثة. وتقدم إليه ملكان بن سلامة، وأظهر له انحرافا عن النبي عن أذن منه، وشكا
إليه ضيق الحال. ورام أن يبيعه وأصحابه طعاما، ويرهنون سلاحهم. فأجاب إلى ذلك، ورجع إلى أصحابه. فحرجوا وشيعهم رسول الله إلى بقيع الفرقد في ليله قمراء، وأتوا كعبا، فخرج إليهم من حصنه ومشوا غير بعيد، ثم وضعوا عليه سيوفهم. ووضع محمد بن مسلمة معولا كان معه في ثنته فقتله. وصاح عدو الله صيحة شديدة انذعر لها أهل الحصون التي حواليه، وأوقدوا النيران، ونجا القوم، وقد جرح منهم الحرث بن أوس ببعض سيوفهم، فنزفه الدم وتأخر. ثم وافاهم بجرة العريض آخر الليل، وأتوا النبى وهو يصلي وأخبروه، وتفل على جرح الحرث فبريء. وأذن للمسلمين في قتل اليهود لما بلغه انهم خافوا من هذه الفعلة، واسلم حينئذ حويصة بن مسعود، وقد كان أسلم قبله أخوه محيصة بسبب قتل بعضهم.

غزوة بني قينقاع

وكان بنو قينقاع لما انصرف رسول الله من بدر، وقف بسوق بني قينقاع في
بعض الأيام، فوعظهم وذكرهم ما يعرفون من أمره في كتابهم، وحذرهم ما أصاب قريشا من البطشة فأساءوا الرد وقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا يعرفون الحرب فأصبحت منهم! والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس. فانزل الله تعالى (فإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء). وقيل بل قتل مسلم يهوديا

بسوقهم في حق، فثاروا على المسلمين ونقضوا العهد ونزلت الآية. فسار إليهم رسول الله ، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، وقيل أبا لبابة، وكانوا في طرف المدينة في سبعمائة مقاتل، منهم ثلاثمائة دارع. ولم يكن لهم زرع ولا نخل، إنما كانوا تجارا وصاغة يعملون بأموالهم، وهم قوم عبد الله بن سلام. فحصرهم علمه السلام خمس عشرة ليلة لا يكلم أحدا منهم

حتى نزلوا على حكمة فكتفهم ليقتلوا، فشفع فيهم عبد الله بن أبي بن سلول، وألح في الرغنة حمى حقن له رسول الله دماءهم. ثم أمر بإجلائهم وأخذ ما كان لهم من سلاح وضياع. وأمر عبادة بن الصامت فمضى بهم إلى ظاهر ديارهم، ولحقوا بخيبر. وأخذ رسول الله الخمس من الغنائم، وهو أول. خمس أخذه، ثم انصرف إلى المدينة وحضر الأضحى، فصلى بالناس في الصحراء، وذبح بيده شاتين، ويقال أنهما أول أضحيته .

سرية زيد بن حارثة إلي قرده

وكانت قريش من بعد بدر قد تخوفوا من اعتراض المسلمين عيرهم في طريق الشام، فصاروا يسلكون طريق العراق. وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، واستجاروا بفرات بن حيان بن بكر بن وائل، فخرج بهم في الشتاء وسلك بهم على طريق العراق. وانتهى خبر العير إلى النبي وما فيها من المال وآنية المحضة، فبعث زيد بن حيان العجلي أسيراً، فتعوذ بالإسلام وأسلم. وكان خمس هذه الغنيمة عشرين ألفاً.

قتل ابي الحقيق

كان سلام بن أبي الحقيق هذا مر يهود خيبر وكنيته أبو رافع. وكان يؤذي رسول الله وأصحابه، ويحزب عليهم الأحزاب مثلاً وتقريباً من كعب بن الأشرف. وكان الأوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحلين في طاعة رسول الله والذب عنه، والنيل من أعدائه لا يفعل أحد القبيلتين شيئا إلا فعل الاخرون مثله. وكان الأوس قد قتلوا كعب بن الأشرف، كما ذكرناه، فاستأذن الخزرج رسول الله في قتل ابن أبي الحقيق، نظير ابن الأشرف في الكفر والعداوة. فأذن لهم، فخرج إليهم من الخزرج، ثم من بني سلمة ثمانية نفر منهم. عبدالله بن عقيل ومسعر بن سنان وأبو قتادة والحرث بن ربعى الخزاعى من حلفائهم في آخرين. وأمر عليهم عبد الله بن عقيل ونهاهم أن يقتلوا وليدا؛ أو إمرأة، وخرجوا قي منتصف جمادي الآخرة من سنة ثلاث، فقدموا خيبر وأتوا دار ابن أبي الحقيق في علية له بعد أن انصرف عنه عميرة ونام وقد أغلقوا الأبواب بعد أن أنموا كلما عليهم، ونادوه ليعرفوا مكانه بصوته. ثم تعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه، وخرجوا من

القصر وأقاموا ظاهرة، حتى قام الناعي على سور القصر فاستيقنوا موته ، وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر. وكان أحدهم قد سقط من درج العليه فأصابه كسر في ساقه ، فمسح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرئت .

غزوة أحد

وكانت قريش بعد واقعة بدر قد توامروا، وطلبوا من أصحاب العير أن يعينوهم بالمال ليتجهزوا به لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعانوهم وخرجت قريش باحابيشها وحلفائها . وذلك في شوال من سنة ثلاث ، واحتملوا الظعن إلتماساً للحفيظة وأن لا يفزوا، وأقبلوا حتى نزلوا ذا الحليفة قرب أحد ببطن السبخة، مقابل المدينة على شفير وادٍ هناك . وذلك في رابع شوال ، وكانوا في ثلاثة آلاف : منهم سبعمائة دارع ومائتا فرس ، وقائدهم أبو سفيان ، ومعهم خمس عشرة إمرأة بالدفوف يبكين قتلى بدر. وأشار صلى الله عليه وسلم على أصحابه بأن يتحصنوا بالمدينة ولا يخرجوا، وإن جاءوا قاتلوهم على أفواه الأزقة وافق ذلك على رأي عبد الله بن أبي بن سلول ، وألح قوم من فضلاء المسلفين ممن أكرمه الله بالشهادة فلبس لامته وخرج .

وقدم أولئك الذين ألحوا عليه وقالوا : يا رسول الله ! إن شئت فاقعد فقال : ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل . وخرج في ألف من أصحابه ، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة ببقية المسلمين بالمدينة . فلما صار بين المدينة وأُحُدٍ انخذل عنه عبد الله بن أبي في ثلث الناس مغاضبا لمخالفة رأيه في المقام . وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرة بني حارثة، ومر بين الحوائط ، وأبو خيثمة من بني حارثة يدل به حتى نزل الشعب من أحد، مستندا إلى الجبل . وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين ، وتهيأ للقتال في سبعمائة فيهم خمسون فارسا وخمسون راميا . وأفر على الرماة عبد الله بن جبير من بني عمرو بن عوف ، والأوس أخو خوات ، ورتبهم خلف الجيش ينضحون بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من خلفهم . ودفع اللواء إلى مصعب بن عُمير من بني عبد الدار، وأجاز يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ، ورافع بن خديج من بني حارثة في الرماة، وكسناهما خمسة عشر عاماً. ورد أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب . ومن بني مالك بن النجار زيد بن ثابت وعمرو بن حرام ، ومن بني حارثة البراء بن عازب ، وأسيد بن ظهير.

ورد عرابة بن أوس وزيد بن أرقم وأبا سعيد الخدري، وسن جميعهم يومئذ أربعة عشر عاما. وجعلت قريش على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أس جهل.

وأعطى عليه السلام شفه الي أبي دجانة سماك بن خرشة من بني ساعدة، وكان شجاعاً بطلاً يختال عند الحرب. وكان مع قريش ذلك اليوم والد حنظلة غسيل الملائكة أبو عامر عبد الله عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان من ضبيعة، وكان في الجاهلية قد ترهب وتنسك. فلما جاء الإسلام غلب عليه الشقاء، وفر إلى مكة في رجال من الأوس، وشهد أحد مع الكفار. وكان يعد قريش في انحراف الأوس إليه لما أنه سيدهم، فلم يصدق ظنه. ولما ناداهم وعرفوه قالوا لا أنعم اذ لك علينا يا فاسق! فقاتل المسلمين قتالا شديدا، وأبلى يومئذ حمزة وطلحة وشيبة وأبو دجانة والنضر بن أنس بلاء شديدا. وأصيب جماعة من الأنصار مقبلين غير مدبرين واشتد القتال، وانهزم قريش أولاً فخلت الرماة عن مراكزهم. وكر المشركون كرة وقد فقدوا متابعة الرماة فانكشف المسلمون، واستشهد منهم من أكرمه الله، ووصل العدو إلى رسول الله .وقاتل مصعب بن عمير صاحب اللواء دونه حتى قتل، وجرح رسول الله في وجهه، وكسرت رباعيتة اليمنى السفلى بحجر، وهشمت البيضة في رأسه. يقال إن الذي تولى ذلك عتبة بن أبي وقاص، وعمرو بن قميئة الليثي. وشد حنظلة الغسيل على أبى سفيان ليقتله، فاعترضه شداد بن الأسود الليثي من شعوب فقتله وكان جنباً. فاخبر رسول الله أن الملائكة غسلته. وأكبت الحجارة على رسول الله حتى سقط من بعض حفر هنالك، فأخذ علي بيده، واحتضنه طلحة، حتى قام- ومص الدم من جرحه مالك بن سنان الخدري والد أبي سعيد، ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه ، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما فندرت ثنايتاه فصار أهتم. ولحق المشركون رسول الله ، وكر دونه نفر من المسلمين فقتلوا كلهم. وكان آخرهم عمار بن يزيد بن السكن. ثم قاتل طلحة حمى أجهض المشركين وأبو دجانة يقى النبي بظهرة ، وتقع فيه النبل فلا يترك. واصيبت عين قتاده بن النعمان من بني ظفر، فرجع وهو على وجنته، فردها عليه السلام بيده فصحت وكانت أحسن عينيه.

وانتهى الضر بن أنس الى جماعة من الصحابة وقد دهشوا وقالوا: قتل

رسول الله ﷺ. فقال: فما تصنعون في الحياة بعده! قوموا فموتوا على ما مات عليه. ثم استقبل الناس، وقاتل حتى قتل، ووجد به سبعون ضربة. وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف عشرين جراحة، بعضها في رجله فعرج منها، وقتل حمزة عم النبي ﷺ، قتله وحشي مولى جبير بن مطعم بن عدي، وكان قد جاء له على ذلك بعنقه، فرآه يبارز سباع بن عبد العزى، فرماه بحربته من حيث لا يشعر فقتله. ونادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل، لأن عمرو بن قميئة كان قد قتل مصعب بن عمير يظن أنه النبي ﷺ، وضربته أم عمارة نسيبة بنت كعب من بني مازن ضربات فتوفي منها بدرعيه، وخشع المسلمون لما أصابه، ووهنوا لصريخ الشيطان. ثم ان كعب بن مالك الشاعر من بني سلمة عرف رسول الله ﷺ فنادى بأعلى صوته يبشر الناس، ورسول الله ﷺ يقول له انصت: فاجتمع عليه المسلمون ونهضوا معه نحو الشعب، فيهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير والحرث بن الصمة الأنصاري وغيرهم. وأدركه أبي بن خلف في الشعب، فتناول ﷺ الحربة من الحرث بى الصمة، وطعنه بها في عنقه. فكر أبي منهزماً وقال له المشركون: ما بك من بأس ! فقال: والله لو بصق علي لقتلني، وكان ﷺ قد توعده بالقتل، فمات عدو الله بسرف مرجعهم إلى مكة. ثم جاء علي إلى رسول الله ﷺ بالماء، فغسل وجهه ونهض، فاستوى على صخرة من الجبل وحانت الصلاة فصلى بهم قعوداً. وغفر الله للمنهزمين من المسلمين ونزل: (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم) الآية. وكان منهم عثمان بن عفان وعثمان بن أبي عقبة الأنصاري. واستشهد في ذلك اليوم حمزة كما ذكرنا، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير في خمسة وستين معظمهم من الأنصار. وأمر رسول الله ﷺ أن يدفنوا بدماهم وثيابهم في مضاجعهم، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم. وقتل من المشركين إثنان وعشرون منهم الوليد بن العاص بن هشام، وألو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن جمح. وكان أسر يوم بدر فمن عليه وأطلقه بلا فداء، على ان لا يعين عليه، فنقض العهد وأسر يوم أحد، وامر رسول الله ﷺ بضرب عنقه صبراً. وأبي بن خلف قتله رسول الله ﷺ

بيده. وصعد أبو سفيان الجبل حتى أطل على رسول الله
واصحابه ، ونادى بأعلى صوته: الحرب سجال! يوم أحد بيوم بدر، أعل هبل. وانصرف وهو يقول: موعدكم العام القابل.
فقال عليه السلام: قولوا له هو بيننا وبينكم. ثم صار المشركون إلى مكة، ووقف

رسول الله على حمزة وكانت هند وصواحبتها قد جدعنه وبقرن عن كبده، فلاكتها ولم تسغها. وبقال أنه لما رأى ذلك في حمزة قال ة لئن أظفرني الله بقريش لأمثلن بثلاثين منهم. ورجع رسول الله وأصحابه إلى المدينة. ويقال : أنه قال لعلي لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا.

غزوة حمراء الاسد

ولما كان يوم أحد سادس عشر شوال، وهو صبيحة يوم أحد، أذن مؤذن رسول الله بالخروج لطلب العدو، وان لا يخرج إلا من حضر معه بالأمس. وفسح لجابر بن عبد الله ممن سواهم، فخرج وخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح. وصار عليه السلام متجلدا مرهباً للعدو، وانتهى إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة، وقام بها ثلاثا، ومر به هناك معبد بن أبي معبد الخزاعي سائرا إلى مكة. ولقي أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء، فاخبرهم بخروج رسول الله في طلبهم، وكانوا يرومون الرجوع إلى المدينة، ففت ذلك في أعضادهم وعادوا إلى مكة.

بعث الرجيع

ثم قدم على رسول الله في صفر متم الثلاثة من الهجرة، نفر من عضل والقارة
بنم الهون بن خزيمة إخوة بني أسد. فذكروا ان فيهم إسلاماً، ورغبوا ان يبعث فيهم من يفقههم في الدين. فبعث معهم ستة رجال من أصحابه: مرثد بن أبي مرثد الغنمي، وخالد بن البكير الليثي، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح من بني عمرو بن عوف، وحبيب بن عدي من بني جحجبا بن كلفة وزيد بن الدثنة بن بياضة بن عامر، وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر. وامر عليهم مرثدا منهم. ونهضوا مع القوم حتى إذا كانوا بالرجيع ، وهو ماء لهذيل قريباً من عسفان ، غدروا بهم واستصرخوا هذيلا ، فغشوهم في رحالهم، ففزعوا إلى القتال، فأفنوهم وقالوا: إنا نريد نصيب بكم فداء من اهل مكة. فامتنع مرثد وخالد وعاصم من أمنهم، وقاتلوا حتى قتلوا، ورموا رأس عاصم بسيوفهم ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت نذرت ان تشرب فيه الخمر، لما قتل ابنيها من بني عبد الدار يوم أحد، فأرسل الله الدبر فحمت عاصما منهم فتركوه إلى الليل فجاء إليه السيل فاحتمله. وأما الآخرون فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ولما كانوا

بمر الظهران انتزع ابن طارق يده من القرآن واخذ سيفه فرموه بالحجارة فمات وجاءوا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوهما إلى قريش فقتلوهما صبرا.

غزوة بئر معونة

وقدم على رسول الله في صفر هذا ملاعب الأسنة، أبو براء عامر بن مالك بن
جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال: يا محمد! لو بعثت رجالا من أصحابك إلي أهل نجد يدعوهم إلى أمرك، ورجوت أن يستجيبوا لك! فقال: أني أخاف عليهم. فقال أبو براء: أنا لهم جار! فبعث رسول الله المنذر بن عمرو من بني ساعدة في أربعين من المسلمين، وقيل في سبعين. منهم الحرث بن الصمة وحرام بن طحان خال أنس وعامر بن فهيره ونافع بن بديل بن ورقاء، فنزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي إلى عامر بن الطفيل، فقتله ولم ينظر في كتابه. واستعدى عليهم بني عامر فأبوا لجوار أبي براء إياهم، فاستعدى بني سليم، فنهضت منهم عصية ورعل وذكوان وقتلوهم عن آخرهم. وكان سرحهم إلى جاب منهم ومعهم المنذر بن أحيحة من بني الجلاح وعمرو بن أمية الضمري فنظرا إلى الطير تحوم على العسكر، فأسرعا إلى أصحابهما فوجداهم في مضاجعهم. فأما المنذر بن أحيحة فقاتل حق قتل، وأما عمرو بن أمية فجز عامر بن الطفيل ناصيته حين علم أنه من مضر لرقبة كانت عن أمه، وذلك لعشرة بقين من صفر، وكانت مع الرجيع في شهر واحد. ولما رجع عمرو بن أية، لقي في طريقه رجلين من بني كلاب أو بني سليم، فنزلا معه في ظل كان فيه، معهما عهد من النبي لم يعلم به عمرو، فانتسبا له في بني عامر أو سليم، فعدا عليهما لما ناما وقتلهما. وقدم على النبي فأخبره بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لأدينهما.

غزوة بني النضير

ونهض رسول الله الى بني النضير، مستعينا بهم في دية هذين القتيلين،
فأجابوا وقعد عليه السلام مع أبي بكر وعمر وعلي ونفر من أصحابه من جدرانهم، وأراد بني النضير رجلاً منهم على الصعود

إلى ظهر البيت، ليلقي على النبي صخرة، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب منهم، وأوحى الله بذلك إلى نبيه فقام، ولم

يشعر أحداً من أصحابه. فاستبطأوه واتبعوه إلى المدينة، فأخبرهم عن وحى الله بما أراد به يهود، وأمر من أصحابه بالتهيؤ لحربه. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ونهض في لشهر ربيع الأول أول السنة الرابعة من الهجرة، فتحصنوا منه بالحصون، فحاصرهم ست ليال، وأمر بقطع النخل وإحراقها. ودس إليهم عبد الله بن أبي والمنافقون إنا معكم قتلتم أو أخرجتم ففر وهم بذلك ثم خذلوهم كرها وأسلموهم.

وسأل عبد الله من النبي أن يكف عن دمائهم ويجليهم بما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، " واحتمل إلى خيبر من أكابرهم حيي بن أخطب، وابن أبي الحقيق، فدانت لهم خيبر، ومنهم من سمار إلى الشام وقسم رسول الله أموالهم بين المهاجرين الأولين خاصة، وأعطى منها أبا دجانة وسهل بن حنيف كانا فقيرين. وأسلم من بني النضير يامين بن عمير بن جحاش وسعيد بن وهب فأحرزا أموالهما بأسلامهما. وفي هذه الغزاة. نزلت سورة الحشر.

غزوة ذات الرقاع

وأقام رسول الله بعد بني النضير إلى جمادى من السنة الرابعة، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان. واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، وقيل عثمان بن عفان،. ونهض حتى نزل نجدا فلقي بها جمعا من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، إلا أنهم خاف بعضهم بعضا، حتى صلى رسول الله بالمسلمين صلاة الخوف، فسميت ذات الرقاع لأن أقدامهم نقبت وكانوا يلقون عليها الخرق. وقال الواقدي: لأن الجبل الذي نزلوا به، كان به سواد وبياض وحمرة رقاعاً فسمي بذلك، وزعم أنها كانت في المحرن.

غزوة بدر الصغري- الموعد

كان أبو سفيان نادى يوم أحد كما قدمناه بموعد بدر من قابل، وأجابوه بأمر رسول الله فلما كان في شعبان من هذه السنة الرابعة خرج لميعاده، واستعمل على المدينة عبد الله بن أبي بن سلول، ونزل في بدر. فأقام هناك ثمان ليال، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل الظهران وعسفان. ثم بدا له في الرجوع، واعتذر بأن العام عام جدب.

غزوة دومة الجند ل

خرج إليها رسول الله في ربيع الأول من السنة الخامسة وخفف على المدينة
سباع بن عرفطة الغفاري . وقد كان بلغه أن جمعاً تجمعوا بها، فغزاهم ثم انصرفوا من طريقه قبل أن يبلغ فى دومة الجندل ولم يلق حربا. رفيها وادع رسول الله عيينة بن حصن يرعى بأراضي المدينة، لأن بلاده كانت أجدبت، وكانت هذه قد أخصبت بسحابة وقعت فأذن له في رعيها.

غزوة الخندق

كانت في شوال في السنة الخامسة، والصحيح أنها في الرابعة. كان ابن عمر يقول: ردني رسول الله يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، ثم أجازني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة، فليس بينهما إلا سنة واحدة وهو الصحيح، فهي قبل دومة الجندل بلا شك. وكان سببها أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم وحيى بن أخطب من بني النصير وهو ابن قيس، وأبو عمارة من بني وائل لما انجلى بنو النضير إلى خيبر خرجوا إلى مكة؛ يحزبون الأحزاب، ويحرضون على حرب رسول الله ، ويرغبون من اشرأب إلى ذلك بالمال. فأجابهم أهل مكة الى ذلك، قم مضوا إلى غطفان، وخرج بهم عيينة بن حصن على أشجع، وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من كنانة وغيرهم- ولما سمع بهم رسول الله أمر بحفر الخندق على المدينة، وعمل فيه بيده والمسلمون معه، ويقال: إن سلمان أشار به. ثم أقبلت الأحزاب حتى نزلوا بظاهر المدينة بجانب أحد. وخرج عليه السلام في ثلاثة آلاف من المسلمين، وقيل في تسعمائة فقط، وهو راجل بلا شك، وخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فنزل بسطح سلع، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذراري فجعلوا في الأطآم. وكان بنو قريظة موادعين لرسول الله ، فأتاهم حيي وأغراهم فنقضوا العهد ومالوا مع الأحزاب، وبلغ أمرهم إلى النبي . فبعث سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وخوان بن جبير وعبدالله بن رواحة يستخبرون الأمر، فوجدوهم مكاشفين

بالغدر والنيل من رسول الله فشاتمهم سعد بن معاذ، وكانوا أحلافه وانصرفوا. وكان قد امرهم إن

وجدوا الغدر حقا، أن يخبروه تعريضاً لئلا يفتوا في أعضاد الناس. فلما جاءوا إليه قالوا يا رسول الله عضل والغارة يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع، فعظم الأمر وأحيط بالمسلمين من كل جهة. وهم بالفشل بنو حارثة وبنو سلمة، معتذرين بأن بيوتهم عورة خارج المدينة، ثم ثبتهم الله. ودام الحصار على المسلمين قريبا من شهر، ولم تكن حرب. ثم رجع رسول الله إلى عيينة بن حصين، والحرث بن عوف، أن يرجعا ولهما ثلثا ثمار المدينة. وشاور في ذلك سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فأبيا وقالا: يا رسول الله! أشيء أمرك الله به فلا بد منه؟ أم شيء تحبه فنصنعه لك أم شيء تصنعه لنا؟ فقال: بل أصنعه لكم! إني رأيت أن العرب رمتكم عن قوس واحدة. فقال سعد بن معاذ؟ قد كنا معهم على الشرك والأوثان، ولا يطمعون منا بثمرة إلا شراء وبيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام واعزنا بك نعطيهم أموالنا! والله لا نعطيهم إلا السيف.

فطاب رسول الله وتمادى الأمر، وظهر فوارس من قريش إلى الخندق، فيهم عكرمة بن أبي جهل وعمرو بن عبد ود من بحي عمرو بن لؤي، وضرار بن الخطاب من بني محارب. فلما رأوا الخندق قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها. ثم اقتحموا من مكان ضيق حتى جالت خيلهم بين الخندق وسلع ودعوا إلى البراز. وقتل على بن أبي طالب عمرو بن عبد ود، ورجعوا إلى قومهم من حيث دخلوا. ورمي في بعض تلك الأيام سد بن معاذ بسهم فقطع عنه الأكحل، يقال رماه جان بن شى بن العرقة ، وقيل أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم. ويروى أنه لما أصيب جعل يدعو: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لها، فلا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك، وأخرجوه. وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها شهادة لى، ولا تمتني حتى تقرعيني من بني قريظة.

ثم اشتدت الحال، وأتى نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن
هلال بر خلاوة بن أشجع بن ريف بن غطفان فقال: يا رسول الله! إني أسلمت ولم يعلم قومى، فمرني بما تشاء. فقال: إنما أنت رجل واحد، فتنخدل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم فأتى بني قريظة وكان صديقهم في الجاهلية، فنقم لهم في قريش وغطفان، وإنهم إن لم يكن الظفر لحقوا ببلادهم وتركوكم، ولا تقدرون على التحول عن بلدكم، ولا طالة لكم بمحمد وأصحابه، فاستوثقوا منهم برهن أبنائهم حتى

يصابروا معكم. ثم أتى أبا سفيان وقريشا فقال لهم: إن اليهود قد ندموا وراسلوا محمدا في المواعدة، على أن يسترهنوا أبناءكم ويدفعوهم إليه. ثم أتى غطفان وقال لهم مثلما قال لقريش، فأرسل أبو سفيان وغطفان إلى بني قريظة في ليلة سبت، إنا لسنا بدار مقام فأعدوا للقتال. فاعتذر اليهود بالسبت وقالوا: مع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا رهناً، فصدق القوم خبر نعيم وردوا إليهم بالإباية من الرهن والحث على الخروج، فصدق أيضا بنو قريظة خبر نعيم وأبوا من القتال. وأرسل الله على قريش وغطفان ريحا عظيمة أكفأت قدورهم وآنيتهم، وقلعت أبنيتهم وخيامهم. وبعث عليه السلام حذيفة بن اليمان عينا، فأتاه بخبر رحيلهم، واصبح- وقد ذهب الأحزاب- ورجع إلى المدينة.

غزوة بني قريظة

ولما رجع رسول الله إلى المدينة، أتاه جبريل بالنهوض إلى بني قريظة، وذلك
بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم، فأمر المسلمين أن لا يصلي أحد العصر إلا في بني قريظة. وخرج وأعطى الراية على بن أبى طالب. واستخلف ابن أم مكتوم، وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة. وعرض عليهم شدهم كعب بن أسد إحدى ثلاث: إما الإسلام وإما تبييت النبي ليلة السبت، ليكون الناس آمنين منهم، وإما قتل الذراري والنساء، ثم الإستمانة. فأبوا كل ذلك، وأرسلوا إلى النبي أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر بن عمرو بن عوف، بما كانوا حلفاء الاوس، فأرسله واجتمع إليه الرجال والنساء والصبيان فقالوا: يا أبا لبابة ترى لنا أن ننزل على حكم محمد؟ قال نعم! وأشار بيده في حلقه إنه الذبح. ثم رجع فندم وعلم أنه أذنب، فانطلق على وجهه ولم يرجع إلى النبي ، وربط نفسه إلى عمود في المسجد ينتظر توبة الله عليه، عاهد الله أن لا يدخل أرض بني قريظة مكانا خان فيه ربه ونبيه. وبلغ ذلك النبي فقال: لو أتانى لا ستغفرن له، فأما بعد ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه، فنزلت توبته. فتولى عليه السلام إطلاقه بيده بعد أن قام مرتبطا بالجذع ست ليال لا يحل إلا للصلاة. ثم نزل بنو قريظة علي حكم النبي ، فأسلم بعضهم ليلة نزولهم وهم نفر أربعة من هذيل إخوة قريظة والنضير. وفر منهم عمرو بن سعد القرظي، ولم يكن

دخل معهم خرب نقضى العهد، فلم يعلم أين وقع. ولما نزل بنو قريظة على حكمه طلب الاوس أن يفعل فيهم ما

فعل بالخزرج في بني النضير. فقال لهم: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى! تال فذلك إلى سعد بن معاذ، وكان جريحا منذ يوم الخندق. وقد أنزله رسول الله في خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فأتى به على حمار، فلما أقبل على المجلس مال رسول الله لهم: قوموا إلى سيدكم! ثم قالوا: يا سعد! إن رسول الله قد ولاك حكم مواليك. فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه. قالوا نعم... قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء وتقسم الأموال. فقالا رسول الله لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. ثم أنه أمر بهم فأخرجوا إلى سوق المدينة وخندق لهم بها خنادق وضربت أعناقهم فيها وهم بين الستمائة والسبعمائة رجل. وقتلت فيهم امرأة واحدة بنانة امرأة الحكم القرظي، وكانت طرحت على خلال بن سويد بن الصامت رحى من فوق الحائط فقتله. وأمر عليه السلام بقتل من أثبت منهم. ووهب لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزبير بن ياطا، فاستحيا منهم عبد الرحمن بن الزبير، كانت له صحبة.

وبعد أن كان ثابت استوهب من النبي الزبير وأهله وماله، فوهبه ذلك، فمر الزبير عليه يده وأبى الا القتل مع قومه اغتباطا بهم قبحه الله.

ووهب عليه السلام لأم المنذر بنت ليس من بني النجار رفاعة بن سموأل القرظي، فأسلم رفاعة وله صحبة. وقسم أموال بني قريظة، فأسهم للفارس ثلاثة أسهم، وللراجل سهماً. وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارسا. ووقع في سهم النبي من سبيهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة من بني عمرو بن قريظة، فلم تزل في ملكه حتى مات رسول الله ، وكان فتح بني قريظة آخر ذي القعدة من السنة الرابعة. ولما تم أمرهم أجيبت دعوة سعد بن معاذ، فانفجر عرقه ومات فكان ممن استشهد يوم الخندق فى سبعه آخرين من الأنصار، وأصيبت من المشركين يوم الخندق أربعة من قريش فيهم عمرو بن عبد ود وابنه حسل، ونوفل بن عبد الله بن مريرة. ولم تغز كفار قريش المسلمين منذ يوم الخندق.

ثم خرج رسول الله في جمادى الأولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بني قريظة، فقصد بني لحيان يطالب بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وأهل الرجيع، وذلك إثر رجوعه من دومة

الجندل، فسلك على طريق الشام أولا، ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات اليمام، ثم رجع إلى طريق مكة وأجذ

السير، حتى نزل منازل لبنى بين أمج وعسفان، فوجدهم قد حذروا وامتنعوا بالجبال، وفاتتهم الغرة فيهم فخرج في مائتي راكب إلى المدينة.

غزوة الغابة وذي قرد

وبعد قفوله والمسلمين إلى المدينة بليال أغار عيينة بن حصن الفزاري في بني

عبد الله بن غطفان فاستلحموا لقاح النبي بالغابة، وكان فيها

رجل من بني غفار وامرأته، لقتلوا الرجل وحملوا المرأة ونزل بخن سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، وكان ناهضا فعلا ثنية الوداع وصاح بأعلى صوته نذيرا بهم. ثم أتبعهم واستنقذ ما كان بأيديهم،

ولما وقعت الصيحة بالمدينة ركب رسول الله في أثرهم، ولحق

به المقداد بن الأسود، وعباد بر بشر، وسعد بن زيد من بني عبد الأشهل، وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة الأسدي وأبو قتادة من بني سلمة في جماعة من المهاجرين والأنصار. وأمر عليهم

رسول الله سعد بن زيد، وانطلقوا في اتباعهم حتى أدركوهم،

فكانت بينهم جولة قتل فيها محرز بن نضلة، قتله عبد الرحمن بن عيينة، وكان أول من لحق بهم. ثم ولى المشركون منهزمين، وبلغ

رسول الله ما يقال له ذو قرد، فأقام عليه ليلة ويومين، ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة، ثم قفل إلى المدينة.

غزوة بني المصطلق

وأقام رسول الله إلى شعبان من هذه السنة السادسة، ثم

غزا بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أنهم يجتمعون له، وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية أم المؤمنين ، فخرج إليهم واستخلف أبا ذر الغفاري، وقيل نميلة بن عبد الله الليثي ولقيهم بالمريسع من مياههم ما بين قديد والساحل، فتزاحفوا وهزمهم الله، وقتل من قتل منهم وشبي النساء والذرية، وكانت منهم جويرية بنت الحرث سيدهم، ووقعت فى سهم ثابت بن قيس، فكاتبها وأذى عليه السلام عنها وأعتقها وتزوجها. وأصيب في هذه الغزاة هشام بن صبابة الليثى من بني ليث بن بكر، قتله رجل من

رهط عبادة بن الصامت غلطا يظنه من العدو. وفي مرجع النبي

من هذه الغزاة وفيها قال عبد الله بن أبي بن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. لمشاجرة وقعت بين جهجاه بن مسعود الغفاري أجير عمر بن الخطاب وين سنان بن واقد

الجهني حليف بني عوف بن الخزرج فتشاوروا وتباهوا، فقال ما قال، وسمع زيد بن أرقم مقالته وبلغها إلى رسول الله .

ونزلت سورة المنافقين، وتبرأ منه إنه عبد الله وقال: يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل، وإن شئت والله أخرجته. ثم اعترض أباه عند المدينة وقال: والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله فأذن له وحينئذ دخل وقال: يا رسول الله ! بلغني أنك تريد قتل أبي وإني أخشى أن تأمر غيري فلا تدعني نفسي أن أقاتله، وإن قتلته قتلت مؤمنا بكافر، ولكن مرنى بذلك فأنا والله أحمل إليك رأسه. فجزاه رسول الله خيرا، وأخبره أنه لا يصل إلى أبيه سوء. وفيها قال أهل الإفك ما قالوا في شأن عائشة مما لا حاجة بنا إلى ذكره، وهو معروف في كتب السير. وقد أنزل الله القرآن الحكيم ببراءتهما وتشريفهما وقد وقع في الصحيح أن مراجعته وقعت في ذلك بين معد بن عبادة وصعد بن معاذ، وهووهم ينبغي التنبيه عليه لأن سعد بر معاذ مات بعد فتح بني قريظة بلا شك، داخل السنة الرابعة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهرا من موت سعد. والملاحاة بين الرجلين كانت بعد غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة. والذي ذكر ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وغيره: إن المقاول لسعد بن عبادة إنما هو أسيد بن الحصين والله أعلم.

ولما علم المسلمون أن النبي تزوج جويرية اعتقوا كل من كان في أيديهم من

بني المصطلق أصهار رسول الله فأطلق بسببها مائة من أهل

بيتها. ثم إن رسول الله بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم بعامين الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقبض صدقاتهم، فخرجوا يتلقونه فخافهم على نفسه، ورجع وأخبر أنهم هموا بقتله. فتشاور المسلمون في غزوهم، ثم جاء وفدهم منكرين ما كان من رجوع الوليد قبل النبي ذلك منهم ونزل قوله تعالى ة (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق) الآية.

عمرة الحديبية

ثم خرج رسول الله في السادسة من ذي القعدة منها معتمرا بعد بني المصطلق بشهرين، واستنفر الأعراب حوالي المدينة، فأبطأ أكثرهم فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن اتبعه من العرب فيما بين الثلاثمائة بعد الألف إلى الخمسمائة، وساق الهدي وأحرم من المدينة ليعلم الناس أنه لا

يريد حرباً. وبلغ ذلك قريشا فأجمعوا على صده عن البيت وقتاله دونه، وقدموا خالد بن الوليد في خيل إلى كراع الغميم. وورد خبرهم إلى النبي بعسفان فسلك على ثنية المرار، حتى نزل الحديبية من أسفل

مكة. وجاء من ورائهم، فكر خالد في خيله إلى مكة، فلما جاء لمجز إلى مكة بركت ناقته. فقال الناس خلأت فقال: ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الغيل ثم قال: والذي نفسي بيده، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم نزل واشتكى الناس فقد الماء، فأعطاهم سهماً من كنانته غرزوه في بعض القلوب من الوادي، فجاش الماء حتى كفى جميع الجيش.

يقال نزل به البراء بن عازب، ثم جرت السفراء بين رسول الله وبين كفار قريش، وبعث عثمان بن عفان بينهما رسولا.

وشاع الخبر ان المشركين قتلوه، فدعا رسول الله المسلمين، وجلس نحت شجرة، فبايعوه على الموت وأن لا يفروا، وهي بيعة الرضوان. وضرب عليه السلام بيسراه على يمينه وقال: هذه عن عثمان. ثم كان سهيل بن عمرو اخر من جاء من قريش، فقاضى رسول الله قريشاً على ان ينصرف عامه ذلك، ويأتي من قابل معتمرأ، وبدخل مكة وأصحابه بلا سلاح، حاشا السيوف في القرب، فيقيم بها ثلاثا ولا يزيد، وعلى ان يتصل الصلح عشرة أعوام، يتداخل فيه الناس ويؤمن بعضهم بعضا. وعلى ان من هاجر من الكفار إلى المسلمين من رجل أو إمرأة يرد الى قومه، ومن ارتد من المسلمين إليهم لم يردوه. وعظم ذلك على المسلمين حتى تكلم فيه بعضهم، وقد كان النبي علم أن هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الإسلام، وأن الله يجعل فيه مزجا للمسلمين، وهو أعلم بما علمه ربه. وكتب الصحيفة علي وكتب في صدرها: هدا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فأبى سهيل من ذلك وقال: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فأمر رسول الله عليا أن يمحوها فأبى، وتناول هو الصحيفة بيده ومحا ذلك وكتب محمد بن عبد الله.

ولا يقع في ذهنك من أمر هذه الكتابة ريب، فإنها قد ثبتت في الصحيح، وما

يعترض في الوهم من أن كتابته قادحة في المعجزة فهو باطل. لأن هذه الكتابة إذا وقعت من غير معرفة بأوضاع الحروف ولا قوانين الخط وأشكالها، بقيت الأمية على ما كانت عليه، وكانت هذه الكتابة الخاصة من إحدى المعجزات انتهى.

ثم أتى أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده، وكان قد اسلم فقال سهيل: هذا أول ما نقاضي عليه. فرده رسول الله إلى أبيه،

وعظم ذلك على المسلمين. وأخبر النبي أبا جدل أن الله سيجعل له فرجا. وبينما هم يكتبون الكتاب إذ جاءت سرية من

جهة قريش، قيل ما بين الثلاثين والأربعين يريدون الإيقاع بالمسلمين، فأخذتهم خيول المسلمين، وجاءوا بهم إلى رسول الله فأعتقهم، واليهم ينسب العتيقيون، ولما تم الصلح وكتابه أمر رسول الله أن ينحروا ويحلقوا، فتوقفوا فغضب حتى شكى إلى زوجته أم سلمة فقالت: يا رسول الله أخرج وانحر واحلق فإنهم متابعوك، فخرج ونحر وحلق رأسه حينئذ خراش بن أمية الخزاعي، ثم رجع رسول الله إلى المدينة وما فتح من قبله فتح كان أعظم من هذا الفتح. قال الزهري: لما كان القتال حيث لا يلتقي الحاس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضا، فالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام أحدا يفعل شيئاً إلا دخل فيه. فلقد دخل في ذينك السنتين في الإسلام مثلما كان قبل ذلك أو أكثر.

ولما رجع إلى المدينة لحقه أبو بصير عتبة بن أسيد بن حارثة هارباً، وكان قد
أسلم وحبسه قومه بمكة وهو ثقفي من حلفاء بني زهرة. فبعث إليه الأزهر بن عبد عوف عم عبد الرحمن بن عوت، والأخنس بن شريف سيد بني زهرة رجلاً من بني عامر بن لؤى مع مولى لهم. فأسلمه النبي فاحتملاه. فلما نزلوا بذي الحليفة أخذ أبو بصير السيف من أحد الرجلين، ثم ضرب به العامري فقتله، وفر الآخرون. وأتى أبو بصير إلى النبي فقال يا رسول الله ! قد وفت ذمتك وأطلقني الله. فقال عليه السلام: ويلمه. مسعر حرب، لو كان له رجال فبكى. ففطن أبو بصير من لحن هذا القول أنه سيرده. وخرج إلى سيف البحر عليه طريق قريش إلى الشام، وانضاف إليه جمهور من يفر عن قريش ممن أراد الإسلام. فآذوا قريشا وقطعوا على رفاقهم وسابلتهم. فكتبوا إلى النبي أن يضمهم بالمدينة. ثم هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط. وجاء فيها أخواها عمارة والوليد، فمنع الله من رد النساء وفسخ ذلك الشرط المكتتب. ثم نسخت براءة ذلك كفه وحرم الله حينئذ على المسلمين إمساك الكوافر في عصمتهم فانفسخ نكاحهن.

ارسال الرسل إلي الملوك

قالى ابن اسحاق: بعث رسول الله فيما بين الحديبية ووفاته، رجالا من أصحابه

إلى ملوك العرب والعجم، دعاة إلى الله عز وجل. فبعث سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود أخا بني عامر بن لؤي إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة. وبعث العلاء

ابن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخي بني عبد القيس صاحب البحرين، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن جلندى بن عامر بن جلندى صاحب عماد. وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فأذى إليه كتاب رسول الله ، وأهدى المقوقس إلى رسول الله أربع جوار منهى مارية أم إبراهيم ابنه.

وبعث رسول الله دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم، فوصل إلى بصرى وبعثه صاحب بصرى إلى هرقل. وكان يرى في ملاحمهم أن ملك الختان قد ظهر وقرأ الكتاب وإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ! السلام على من اتبع الهدى. أما بعد

أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، وفي رواية: إثم الأكارين عليك تعيا بحمله. فطلب من في مملكته من قوم النبي فأحضروا له من غزة، وكان فيهم أبو سفيان فسأله كما وقع في الصحيح، فأجابه وعلم أحواله، وتفرس صحة أمره، وعرض على الروم أتباعه فأبوا ونفروا فلاطفهم بالقول وأقصر.

ويروى عن ابن اسحق أنه عرض عليهم الجزية فأبوا فعرض عليهم أن يصالحوا بأرض سورية.

قالوا: وهي أرض فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب. وما كان وراء الدرب فهو الشام،.. فأبوا قال ابن اسحاق:

وبعث رسول الله شجاع بن وهب الأسدي أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحرث بن شمر الغساني صاحب دمشق، وكتب معه: السلام على من اتبع الهدى وآمن به، أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك. فلما قرأ الكتاب قال: من ينزع ملكي؟ أنا سائر إليه! فقال النبي : باد ملكه.

قال: وبعث رسول الله عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسولا الله إلى النجاشي الأصحم الحبشة، سلام عليك! فإني

أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة البتول الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاءوك فاقرهم ودع التجري وإني أدعوك وجنودك إلى الله فلقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى. فكتب إليه النجاشي: إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن الحر... سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. أحمد الله الذي لا إله إلا هو الذي هدانا للإسلام، اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله. فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد بالرأي على ما ذكرت أنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك واصحابه، فأشهد إنك رسول الله صادقاً مصدقا، فقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين. وقد بعثت إليك بابني أرخا الأصحم، فإني لا أملك إلا نفسي. وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن الذي تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله.

فذكر أنه بحث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة فغرقت بهم، وقد جاء أنه أرسل

إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة، وبعث إليه بالخطبة جاريته فأعطته أوضاحاً وفتحا، ووكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها، ودفع النجاشي إلى خالد بن سعيد أربعمائة دينار لصداقها، وجاءت إليها بها الجارية فأعطتها منها خمسين مثقالا، فردت الجارية ذلك بأمر النجاشي. وكانت الجارية صاحبة ذهنه وثيابه. وبعث إليها نساء النجاشي بما عندهن من عود وعنبر، وأركبها في سفينتين مع بقية

المهاجرين، فلقوا النبي بخيبر، وبلع أبا سفيان تزويج أم حبيبة منه فقال: ذلك الفحل الذي لا يقدع أنفه.

وكتب رسول الله في هذه السنة إلى كسرى وبعث بالكتاب عبد الله بن حذافة السهمي وفيه.

بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس! سلام على من اتبع الهدى وآمن

بالله ورسل!. أما بعد فإنى رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا. أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس.

فمزق كسرى كتاب النبي فقال رسول الله مزق الله ملكه.

وفي رواية ابن

اسحق بعد قوله وآمن بالله ورسله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة أنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. فإن ابيت فإثم الأريسيين عليك قال: ثم كتب كسرى إلى باذان وهو عامله على اليمن أن أبعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به. فبعث باذان قهرمانه بانويه، وكان حاسباً كاتبا بكتاب فارس ومعه خرخسرة من الفرس، وكتب إليه معهما أن ينصرف إلى كسرى، وقال لقهرمانه: إختبر الرجل وعرفني بأمره، وأول ما قدما الطائف وسألا عنه فقيل هو بالمدينة. وفرح من سمع بذلك من قريش وكانوا بالطائف

فقالوا: قطب له كسرى وقد كفيتموه، وقدما على رسول الله

بالمدينة فكلمه بانويه وقال: إن شاهنشاه قد كتب إلى الملك باذان أن يبعث إليه من يأتيه بك، وبعثني لتنطلق معي ويكتب معه إليك فينفعك، وإن أبيت فهو من علمت، ويهلك قومك ولخرب بلادك.

وكانا قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فنهاهما رسول الله عن

ذلك فقالا: أمرنا به ربنا يعنون به كسرى فقال لهما: لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي، لم أؤخرهما إلى غد.

وجاءه الوحي بأن الله يسلط على كسرى ابنه شيرويه، فيقتله ليلة كذا من شهر كذا

لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع فدعاهما وأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول؟ يحزنانه عاقبة هذا القول فقال: اذهبا وأخبراه بذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وإن أسلمت أعطيتك ما تحت بدك، وملكتك على قومك من الأبناء، وأعطى خرخسره قطعة فيها ذهب وفضة، كان بعض الملوك أهداها له. ففدما على باذان وأخبراه فقال: ما هدا كلام ملك! ما أرى الرجل إلا نبيا كما يقول، ونحن ننتظر مقالته، فلم ينشب باذان أن لدم عليه كتاب شيرويه؟

أما بعد فإني قد قتلت كسرى؟ ولم أتته إلا غضبا لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، وتسخيرهم فى ثغورهم. فإذا جاءك كتابي هذا، فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وأنظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه كثيرا إليك، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه،

فلما بلغ باذان الكتاب وأسلمت الأبناء تسعة من فارس، ممن كان منهم باليمن. وكانت حمير تسمي خرخسرة ذا المفخرة، للمنطقة التي أعطاه إياها النبي ﷺ. والمنطقة بلسانهم المفخرة، وقد كان بانويه قال لباذان ما كلمت رجلاً قط أهيهب عندي منه فقال: هل معك شرط؟ قال لا! قال الواقدي: وكتب إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام فلم يسلم.

غزوة خيبر

ثم حرج رسول الله ﷺ من المدينة غازياً إلى خيبر في بقية المحرم آخر السنة السادسة وهو فى ألف وأربعمائة راجل ومائتي فارس. واستخلف نميلة بن عبد الله الفيثى، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب، وسلك عن الصهباء حتى نزل بواديها إلى الرجيع، فحيل بينهم وبين عطفان. وقد كانوا أرادوا إمداد يهود خيبر، فلما خرجوا لذلك قذف الله فى قلوبهم الرعب لحس سمعوه من ورائهم، فانصرفوا وأقاموا في أماكنهم. وجعل رسول الله ﷺ يفتح حصون خيبر حصناً حصنا، فافتتح أولا منها حصن ناعم، وألقيت على محمود بن سلمة من أعلاه رحى فقتله. ثم افتتح القموص حصن ابن أبي الخقيق، وأصيبت منهم سبايات كانت منهن صفية بنت حيي بن اخطب، وكانت عروسا عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فوهبها عليه السلام لدحية الكلبي ثم ابتاعها منه بسبعة أرؤس، ووضعها عند أم سلمة حتى اعتدت وأسلمت، ثم اعتقها وتزوجها. ثم فتح حصن الصعب بن معاذ، ولم يكن بخيبر أكثر طعاما وودكا منه. وآخر ما افتتح من حصونهم الوطيح والسلالم، حصرهما بضع عشرة ليلة، ودفع إلى على الراية في حصار بعض حصونه فافتتحه، وكان أرمد، فتفل في عينيه ﷺ فبرأ. وكان فتح بعض خيبر عنوة، وبعضها وهو الأكثر صلحا على الجلاء. فقسمها ﷺ وأقر اليهود على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم، ولهم النصف من كل ما تخرج من زرع أو تمر، يقرهم على ذلك ما بدا له. فبقوا على ذلك إلى آخر خلافه عمر، فبلغه أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه لا يبقى دينان بأرض العرب، فأمر بإجلائهم عن خيبر وغيرها مى بلاد العرب. وأخذ المسلمون ضياعهم من مغانم خيبر، فتصرفوا فيها. وكان متولي قسمتها بين أصحابها جابر بن صخر من بني سلمة، وزيد بن سلمة من نجي النجار. واستشهد من المسلمين

جماعة تنيف على العشرين من المهاجرين والأنصار، منهم عامر بن الأكوع وغيره. وفي الغزاة حرمت لحوم الحمر الأهلية، فأكفئت القدور وهي تفور بلحمها. وفيها أهدت اليهود زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم الى النبي شاة مصلية، وجعلت السم في الذراع منها، وكان أحب اللحم إليه، فتناوله ولاك منه مضغة ثم لفظها وقال: إن هذا العظم يخبرني أنه مسصوم، وأكل معه بشير بن البراء بن معرور، وازدرد لقمته فمات منها. ثم دعا باليهودية فاعترفت ولم يقتلها لإسلامها حينئذ على ما قيل، ويقال إنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها.

قدوم مهاجرة الحبشة

وكان مهاجرة الحبشة قد جاء جماعة منهم إلى مكة قبل الهجرة حين سمعوا بإسلام قريش، ثم هاجروا إلى المدينة، وجاء آخرون منهم قبل خيبر بسنتين، ثم جاء بقيتهم إثر فتح خيبر. بعث رسول الله عمرو بن أمية الضميري إلى النجاشي في شأنهم ليقدمهم عليه، فقدم جعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس وبنوهما عبد الله ومحمد وعود، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية وامرأته أمينة بنت خلف وابنهما سعيد، وأم خالد وعمرو بن سعيد بن العاص ومعيقب بن أبي فاطمة حليف أبي سعيد بن العاص وولي بيت المال لعمر، وأبو موسى الأشعري حليف آل عتبة بن ربيعة، والأسود بن نوفل بن خويلد ابن أخي خديجة، وجهم بن قيس بن شرحبيل بن عبد الدار وابناه عمرو وخزيفة، والحرث بن خالد بن صخر من بني تميم، وعثمان بن ربيعة بن أهبان من بني جمع ومحنية بن خون الزبيدي حليف بني سهم، ولي لرسول الله الأخماس، ومعمر بن عبد الله بن نضلة من بني عدي، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عامر بن لؤي، وأبي عمرو مالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس. فكان هؤلاء آخر من بقي بأرض الحبشة، ولما قدم جعفر على النبي يوم فتح خيبر قبل ما بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟..

فتح فدك ووادي القري

ولما اتصل بأهل فدك شأن أهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله يسألونه الأمان على
أن يتركوا الأموال فأجابهم إلى ذلك، فكانت خالصة لرسول الله مما لم يوجف عليه

بخيل ولا ركاب، فلم يقسمها ووضعها حيث أمره الله. ثم انصرف عن خيبر إلى وادي القرى، فافتتحهما عنوة وقسمهما وقتل بها غلامه مدغم، قال فيه لما شهد له الناس بالجنة: كلالة الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم قبل القسم لتشتعل عليه نارا، ثم رجع إلى المدينة في شهر صفر.

عمرة القضاء

وأقام بعد خيبر إلى انقضاء شوال من السنة السابعة، ثم خرج في ذي القعدة لقضاء العمرة التي عاهده عليها قريش يوم الحديبية، وعقد لها الصلح، وخرج ملأ قريش من مكة عداوة لله ولرسوله وكرها في لقائه. فقضى عمرته وتزوج بعد إحلاله بميمونة بنت الحرث من بني هلال بن علي ابن خالة ابن عباس وخالد بن الوليد، وأراد أن يبني بها وقد تمت الثلاثة التي عاهده قريش على المقام بها، وأوصوا إليه بالخروج واعجلوه على ذلك فبنى بها بسرف.

غزوة جيش الامراء أوغزوة مؤته

وأقام رسول الله بعد منصرفه من عمرة القضاء إلى جمادى الأول من السنة الثانية، ثم بعث الأمراء إلى الشام. ولد كان أسلم قبل ذلك عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وهم من كبراء قريش وقد كان عمرو بن العاص مضى عن قريش إلى النجاشي يطلبه في المهاجرن الذين عنده، ولقي هنالك عمرو بن أمية الضمري وافد النبي . فغضب النجاشي لما كلمه في ذلك، فوفقه الله ورأى الحق، فأسلم وكتم إسلامه. ورجع إلى قرلش ولقي خالد بن الوليد فأخبره فتفاوضا، ثم هاجر إلى النبي فأسلما. وبعث رسول الله خالدا مع بعث الشام، وامر على الجيش مولاه زيد بن حارثة وكانوا نحوا من ثلاثة آلاف. وقال إن أصابه قدر فالأمير جعفر بن أبي طالب، فإن أصابه قدر فالأمير عبدالله بن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلوه أميرا عليهم. وشيعهم وودعهم، ونهضوا حتى انتهوا إلى معان من أرض الشام، فأتاهم الخبر بأن هرقل ملك الروم قد نزل مؤاب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، ومائة الف من نصارى العرب البادين هنالك من لحم وجذام وقبائل قضاعة من بهرا وبلي والقيس، وعليهم مالك بن زاحلة من بني

اراشة، فأقام المسلمون في معان ليلتين يتشاورون في الكتب إلى رسول الله وانتظار أمره ومدده. ثم قال لهم عبد الله بن رواحة: انتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوه إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فهي إحدى الحسنيين، إما ظهوره وإيما شهادتنا فوافقوه ونهضوا إلى تخوم البلقاء فلقوا جموع هرقل عند قرية مؤتة ورتبوا الميمنة والميسرة واقتتلوا، فقتل زيد بن حارثة ملاقيا بصدره الرماح والراية في يده. فأخذها جعفر بن أبي طالب وعقر فرسه، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذها بيساره فقطعت فقتل كذلك، وكان ابن ثلاث وثلاثين سنة. فأخذها عبد الله بن رواحة، وتردد عن النزول بعض الشيء، ثم صمم إلى العدو، فقاتل حتى قتل. فأخذ الراية ثابت بن أقرن من بنى العجلان وناولها لخالد بن الوليد، فانحاز بالمسلمين، وأنذر النبي بقتل هؤلاء الأمراء قبل ورود الخبر، وفي يوم قتلهم .

واستشهد مع الأمراء جماعة من المسلمين يزيدون على العشرة، أكرمهم الله بالشهادة. ورجعوا إلى النبى فأحزنه موت جعفر، ولقيهم خارج المدينة، وحمل عبد الله بن جعفر بين يديه على دابته وهو صبي وبكى عليه، واستغفر له وقال: أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة فسمى ذا الجناحين.

فتح مكة

كان رسول الله حين عقد الصلح بينه وبين قريش في الحديبية، أدخل خزاعة
في عقده المؤمن منهم والكافر، وأدخلت قريش بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة في عقدها، وكانت بينهم تراث في الجاهلية ودخول، كان فيها الأول للأسود بن رزق من بني الدئل بن بكر بن عبد مناة ولأرهم عند خزاعة لما قتلت حليفهم مالك بن عباد الحضرمي، وكانوا قد عقدوا على رجل من خزاعة فقتلوه في مالك بن عباد حليفهم. وعدت خزاعة على سلمى وكلثوم وذؤيب بني الأسود بن رزق فقتلوهم وهم أشراف بني كنانة. وجاء الإسلام فاستغل الناس به، ونسوا أمر هذه الدماء. فلما انعقد هذا الصلح يوم الحديبية، وأمن الناس بعضهم بعضا، فاغتنم بنو الدئل هذه الفرصة في إدراك الثأر فى خزاعة لقتلهم بني الأسود بن رزق. وخرج نوفل بن معاوية الدؤلي ليمن أطاعه من تن بكر بن عبد مناة وليس كلهم تابعه. وخرج معه بعضهم وخرجوا منهم وانحجزوا في دور مكة، ودخلوا دار بديل بن ورقاء الخزاعي، ورجع بنو بكر وقد انتقض العهد، فركب

بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم في وفد من قومهم إلى رسول الله مستغيثين مما أصابهم به بنو الدئل بن عبد مناة وقريش، فأجاب صريخهم، وأخبرهم أن أبا سفيان يأتي يشذ العقد ويزيد في المدة، وإنه يرجع بغير حاجة. وكان ذلك سببا للفتح وندم قريش على ما فعلوا، فخرج أبو سفيان إلى المدينة ليؤكد العقد ويزيد في المدة، ولقي بديل بن ورقاء بعسفان، فكتمه الخبر وورى له عن وجهه. وأتى أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة فطوت دونه فراش النبي وقالت لا يجلس عليه مشرك!

فقال لها: قد أصابك بعدي شريا بنتي. ثم أتى المسجد وكلم النبي فلم يجبه. فذهب إلى أبي بكر وكلمه أن يتكلم في ذلك فأبى فلقي عمر فقال: والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به. فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة وابنه الحسن صبياً فكلمه فيما أتى له فقال علي: ما نستطيع أن نكلمه في أمر عزم عليه فقال لفاطمة: يا بنت محمد! أما تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس؟

فقالت لا يجير أحد على رسول الله ... فقال له علي: يا أبا سفيان! أنت سيد بني كنانة فقم فأجر وارجع إلى أرضك. فقال: ترى ذلك مغنيا عني شيئا؟ فقال: ما أظنه! ولكن لا أجد لك سواه.

فقام أبو سفيان في المسجد فنادى ة ألا إني قد أجريت بين الناس ثم ذهب إلى
مكة وأخبر قريشاً فقالوا: ما جئت بشيء، وما زاد ابن أبي طالب على أن لعب بك... ثم أعلم رسول الله إنه سائر إلى مكة، وأمر الناس بأن يتجهزوا، ودعا الله أن يطمس الأخبار عن قريش. فكتب إليهم حاطب بن أبى بلتعة بالخبر مع ظعينة قاصدة الى مكة، فأوحى الله إليه بذلك، فبعث عليا والزبير والمقداد إلى الظعينة، فأدركوها بروضة خاخ وفتشوا رحلها فلم يجدوا شيئا وقالوا: رسول الله أصدق فقال علي: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الحوائج،

فأخرجته من قرون رأسها. فلما قرىء على النبي قال: ما هذا يا حاطب؟ فقال: يا رسول الله! والله ما شككت في الإسلام! ولكنى ملصق في قريش، فأردت عندهم يداً يحفظونى بها في مخلف أهلي وولدي، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال. اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم.

وخرج لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة في عشرة آلاف فيهم من سليم
ألف رجل، وقيل سبعمائة. ومن مزينة ألف، ومن غفار اربعمائة، ومن أسلم أربعمائة،

وطوائف من قريش وأسد وتميم وغيرهم. ومن سائر القبائل جموع وكتائب الله من المهاجرين والأنصار. واستخلف أبا رهم الغفاري على المدينة، ولقيه العباس بذي الحليفة، وقيل بالجحفة مهاجرا. فبعث رحله إلى المدينة وانصرف معه كازيا، ولقيه بشق العقاب، أبو سفيان بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية مهاجرين، واستأذنا فلم يؤذن لهما، وكلمته أم سلمة فأذن لهما وأسلما فسار حتى نزل مر الظهران، ولد طوى الله أخباره عن قريش، إلا أنهم يتوجسون الخيفة. وخشي العباس تلافي قريش إن فاجأهم الجيش قبل أن يستأمنوا، فركب بغلة النبى وذهب يتجسس، وقد خرج أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يتجسون الخبر. وبينما العباس قد أتى الأراك ليلقي من السابلة من ينذر أهل مكة، إذ سمع صوت أبي سفيان وبديل وقد أبصرا نيران العساكر، فيقول بديل: نيران بني خزاعة، فيقول أبو سفيان خزاعة أذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. فقال العباس: هذا رسول الله بالناس، والله إن ظفر بك ليقتلنك وأصباح قريش فارتدف خلفي. ونهض به إلى المعسكر، ومر بعمر فخرج يشتد إلى رسول الله يقول: الحمد لله الذي أمكننى منك بغير عقلى ولا عهد. فسبقه العباس على البغلة ودخل على أثره فقال: يا رسول الله ! هذا عدو الله أبو سفيان أمكنني الله منه بلا عهد فدعني أضرب عنقه. ففال العباس: قد أجرته! فزأره عمر فقال العباس: لو كان من بني عدي ما قلت هذا، ولكنه من عبد مناف. فقال عمر: والله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب لأني أعرف أنه عند رسول الله كذلك. فأمر رسول الله العباس أن يحمله إلى رحله ويأتيه به صباحا. فلما أتى به قال له ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك. والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى
عنا ففال: ويحك ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئا.
فقال له العباس: ويحك أسلم قبل أن يضرب عنقك فأسلم. فقال العباس: يا
رسول الله! إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا. قال نعم! من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. ثم أمر العباس أن يوقف أبا

سفيان بخطم الوادي ليرى جنود الله، ففعل ذلك، ومرت به القبائل قبيلة قبيلة، إلى أن جاء موكب رسول الله في المهاجرين والأنصار عليهم الدروع البيض.

فقال من هؤلاء؟ فقال له العباس: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، فقال لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال يا أبا سفيان إنها النبوة. فقال: فهي إذا. فقال! له العباس: النجاء إلى قومك، فأتى بهم مكة وأخبرهم بما أحاط بهم وتأمان رسول الله وبقول النبي من أتى المسجد أو دار أبي سفيان أو أغلق بابه.

ورتب الجيش وأعطى سعد بن عبادة الراية فذهب يقول:

اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة

وبلغ ذلك النبي فأمر عليا أن يأخذ الراية منه، ويقال أمر الزبير وكان على الميمنة خالد بن الوليد، ومنها أسلم وغفار ومزينة وجهينة، وعلى الميسرة الزبير، وعلى المقدمة أبو عبيدة بن الجراح.

وسرب رسول الله الجيوش من ذي طوى، وأمرهم بالدخول إلى مكة. الزبير من أعلاها، وخالد من أسفلها، وأن يقاتلوا من تعرض لهم. وكان عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو قد جمعوا للقتال. فناوشهم أصحاب خالد القتال، واستشهد من المسلمين كرز بن جابر من بني محارب، وخنيس بن خالد من خزاعة، وسلمة بن جهينة، وانهزم المشركون وقتل منهم ثلاثة عشر، وأمن النبي سائر الناس. وكان الفتح لعشر بقين من رمضان وأهدر دم جماعة من المشركين سماهم يومئذ: منهم عبد العزى بن خطل من بني تميم، والأدرم بن غالب كان قد أسلم وبعثه رسول الله مصدقا ومعه رجل من المشركين، فقتله وارتد ولحق بمكة. وتعلق يوم الفتح بأستار الكعبة، فقتله سعد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي.

ومنهم عبدالله بن سعيد بن أبي سرح، كان يكتب للنبي ، ثم ارتد ولحق بمكة. ونميت عنه أقوال، فاختفى يوم الفتح، وأتى به عثمان بن عفان، وهو أخوه من الرضاعة فاستأمن له، فسكت عليه السلام ساعة ثم أمنه. فلما حرج قال لأصحابه: هلا ضربتم عنقه! فقال له بعض الأنصار هلا أومأت إلي ؟ فقال: ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين، ولم يظهر بعد إسلامة إلا خير وصلاح واستعمله عمر وعثمان.

ومنهم الحويرث بن نصل من بني عبد بن قصي كان يؤذي رسول الله بمكة، فقتله علي بن أبي طالب يوم الفتح. ومنهم مقيس بن صبابة كان هاجر في غزوة الخندق،

ثم عدا على رجل من الأنصار كان قتل أخاه قبل ذلك غلطاً، ووداه فقتله وفر إلى مكة مرتدا. فقتله يوم الفتح نميلة بن عبدالله الليثي وهو ابن عمه.

ومنهم قينتا ابن خطل كانتا تغنيان بهجو النبي فقتلت إحداهما واستؤمن للأخرى فأمنها.

ومنهم مولاة لبني عبد المطلب اسمها سارة، واستؤمن لها فأمنها رسول الله . واستجار رجلان من بني مخزوم بأم هاني بنت أبي طالب. يقال إنهما الحرث بن هشام وزهير بن أبي أمية أخو أم سلمة، فأمنتهما. وأمضى رسول الله أمانهما فأسلما. ثم دخل رسول الله المسجد، وطاف بالكعبة، وأخذ المفتاح من عثمان بن

طلحة، بعد أن مانعت دونه أم عثمان ثم أسلمته. فدخل الكعبة ومعه أسامه بن زيد، وبلال وعثمان بن طلحة، وأبقى له حجابة البيت، فهي في ولد شيبة إلى اليوم. وأمر بكسر الصور داخل الكعبة وخارجها، وبكسر الأصنام حواليها. ومر عليها وهي مسدودة بالرصاص يشير إليها بقضيب في يده وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً. فما بقي منهم صنم إلا خر على وجهه، وأمر بلالا فأذن على ظهر الكعبة. ووقف رسول الله بباب الكعبة ثانى يوم الفتح، وخطب خطبته المعروفة ووضع مآثر الجاهلية، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج. وأخبر ان مكة لم تحل لأحد قبله ولا بعده، وإنما أحلت له ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له. صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثورة أو دم أو مال يدعى في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج. الا وإن قتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا فيهما الدية مغلظة منها، أربعون في بطونها أولادها. يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب.

ثم تلا رسول الله : (أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير). يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون أنا فاعل فيكم؟ قالوا خيراً أخ كريم ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء، وأعتقهم على الإسلام، وحبس لهم فيما قبل على الصفا، فبايعوه على

السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ولما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء. أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أن يبايعهن، واستغفر لهن رسول الله لأنه كان لا يمس امرأة حلالاً ولا حراماً. وهرب صفوان بن أمية إلى اليمن، واتبعه عمير بن وهب من قومه بأمان النبي له، فرجع وانذره أربعة أشهر. وهرب ابن الزبير الشاعر إلى نجران، ورجع فأسلم، وهرب هبيرة بن أبي وهب المخزومى زوج أم هاني إلى اليمن فمات هنالك كافرا.

ثم بعث النبي السرايا حول مكة، ولم يأمرهم بقتال، وفي جملتهم خالد بن
الوليد إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة ابن كنابن، فانة، فقتل منهم وأخذ ذلك عليه، وبعث إليهم عليا بمال فودى DDف قتلاهم، ورد عليهم ما أخذ لهم. ثم بعث رسولالله (خالدا الى، بيت بنخلة كانت قصر تعظمه من قريش وكنانة وغيرهم. وسدنة بنو شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم فهزمهم. ثم أن الأنصار توقفوا إلى أن يقيم بمكة داره بعد أن فتحها، فأهمهم ذلك وخرجوا له فخطبهم ، وأخبرهم أن المحيا محياهم والممات مماتهم فسكتوا لذلك واطمأنوا.

غزوة حنين

وأقام رسول الله بمكة خصمي عشرة ليلة، وهو يقصر الصلاه، فبلغه أن هوازن، وثقيف جمعوا له وهم عامدون إلى مكة، وقد نزلوا حنيناً، وكانوا حين سمعوا بمخرج رسول الله من المدينة يظنون انه إنما يريدهم. فاجتمعت هوازن إلى مالك بن عوف من بني النضير وقد أوعب معه بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وبني جشم بن معاوية وبني سعد بن بكر، وناسا من بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، والأحلاف من بنهي مالك بن ثقيف بن بكر، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا من كلاب، وفي جشم دريد بن الضفة بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن أزية بن جشم، رئيسهم وسيدهم شيخ كبير ليس فيه إلا ليؤتم برأيه ومعرفته.

لي ثقيف سيدان ليس لهم في الأحلاف إلا قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحرث بن مالك وأخوه احمر، وجمع أمر الناس إلى مالك بن عوف. فلما أتاهم أن رسول الله قد فتح مكة، أقبلوا عامدين إليه. وساق مالك مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، يرى أنه أثبت

لموقفهم، فنزلوا بأوطاس. فقال دريد بن الصمة لمالك: ما لي السمع رغاء البعير ونهاق الحمار وبعار الشاء وبكاء

الصغير. فقال: أموال الناس وأبناؤهم ، سقنا معهم ليقاتلوا عنها ، فقال : راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسلاحه، وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ثم سأل عن كعب وكلاب وأسف لغيابهم، وأنكر على مالك رأيه ذلك وقال: لم تصنع بتقديم نقيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا أرفعهم إلى ممتنع بلادهم. ثم الق الصبيان على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من ورائك، وإن كانت لغيرك كنت قد أحرزت أهلك ومالك. وأبي عليه مالك، واتبعه هوازن. ثم بعث النبي عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي يستعلم بخبر القوم، فجاءه وأطلعه على جلية الخبر، وانهم قاصدون إليه، فاستعار رسول الله من صفوان بن أمية مائة درع، وقيل أربعمائة، وخرج في اثني عشر ألفاً من المسلمين، عشرة آلاف الذين صحبوه من المدينة، وألفان من مسلمة الفتح. واستعمل على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، ومضى لوجهه، وفي جملة من اتبعه عباس بن مرداس، والضحاك بن سفيان الكلابي ، وجموع عن عبس وذبيان ومزينة وبني أسد.

ومر في طريقه بشجرة سدر خضراء وكان لهم في الجاهلية مثلها يطوف بها الأعراب ويعظمونها ويسمونها ذات أنواط. فقال له جفاة الأعراب يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال لهم: قلتم كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. والذي نفسى بيده لتركبن سن من كان قبلكم وزجرهم عن بذلك. ثم نهض حتى أتى وادي حنين من أودية تهامة أول يوم من شوال من السنة الثامنة، وهو وادي الحزن فتوسطه في غبش الصبح، وقد كمنت هوازن جانبيه فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد فولى المسلمون لا يلوى أحد على أحد وناداهم فلم يرجعوا. وثبت معلى أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحرث وابنه جعفر والفضل وقثم ابنا العباس وجماعة سواهم، والنبي على بغلته البيضاء دلدل، والعباس آخذ بشكائمها، وكان جهير الصوت، فأمره رسول الله أن ينادي بالأنصار وأصحاب الشجرة وقيل وبالمهاجرين. فلما سمعوا الصوت وذهبوا ليرجعوا فصدهم ازدحام المنهزمين أن يثنوا رواحلهم، فاستقاموا وتناولوا سيوفهم وتراسهم واقتحموا عن الرواحل راجعين إلى النبي . وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة فاستقبلوا هوازن والناس متلاحقون.

واشتدت الحرب وحمي الوطيس وقذف الله في قلوبهم هوازن الرعب حين وصلوا إلى

رسول الله فلم يملكوا أنفسهم، فولوا منهزمين، ولحق آخر الناس، وأسرى هوازن مغلولة بين يديه، وغنم المسلمون عيالهم وأموالهم واستحر القتل في بني مالك من ثقيف، فقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً، في جملتهم ذو الخمار وأخوه عثمان ابنا عبد الله بن ربيعة بن حبيب سيداهم. وأما قارب بن الأسود سيد الأحلاف من ثقيف ففر بقومه منذ أول الأمر، وترك رأيته فلم يقتل منهم أحد، ولحق بعضهم بنخلة، وهرب مالك بن عوف النصري مع جماعة من قومه، فدخلوا الطائف مع ثقيف، واتجهت طوائف من هوازن إلى أوطاس واتبعتهم طائفة من خيل المسلمين الذين توجهوا من نخلة فادركوا فيهم دريد بن الصمة فقتلوه. يقال قتله ربيعة بن رافع بن أهبان بن ثعلبة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امرىء القيس.

وبعث إلى من اجتمع بأوطاس من هوازن أبا عامر الأشعري عم أبي موسى، فقاتلهم وقتل بسهم رماه به سلمة بن دريد بن الصفة، فأخذ أبو موسى الراية وشد على قاتل عمه فقتله، وانهزم المشركون واستحر القتل في بني رباب من بني نصر بن معاوية، وانفضت جموع هوازن كلها. واستشهد من المسلمين يوم حنين أربعة منهم: أيمن ابن أم أيمن أخو أسامة لأمه ويزيد بن زمعة بن الأسود وسراقة بن الحرث من بني العجلان وأبو عامر الأشعري.

حصار الطائف

ثم أمر رسول الله بالسبايا والأموال فحبست بالجعرانة بنظر مسعود بن عمرو الغفاري، وسار من فوره إلى الطائف، فحاصر بها ثقيف خمس عشرة ليلة، وقاتلوا من وراء الحصون، وأسلم من كان حولهم من الناس، وجاءت وفودهم إليه. وقد كان مر في طريقه بحصن مالك بن عوف النصري فأمر بهدمه، ونزل على أطم لبعض ثقيف، فتمنع فيه صاحبه قامر بهدمه فأمر بهدمه فاخرب، وتحصنت ثقيف. وقد كان عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة من ساداتهم ذهبا إلى جرش يتعلمان صنعة المجانيق والدبابات للحمار، لما أحسوا من قصد رسول الله إياهم، فلم يشهدا الحصار ولا حنينا قبله. وحاصرهم المسلمون بضع عشرة أو نصف شهر أو بضع وعشرين ليلة. واستشهد بعضهم بالنبل، ورماهم بالمنجيق. ودخل نفر من المسلمين تحت دبابة ودنوا إلى سور الطائف، فصبوا عليهم سكك الحديد المحماة، ورموهم بالنبل فأصابوا منهم قوما. وأمر رسول الله بقطع أعناقهم. ورغب إليه ابن الأسود بن مسعود في ماله وكان بعيدا من

الطائف، وكف عنه. بثم رحل عن الطائف وتركهم، ونزل أبو بكرة فاسلم، واستشهد من

المسلمين في حصاره سعيد بن سعيد بن العاص وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة أخو أم سلمة، وعبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي في آخرين قريبا من إثني عشر فيهم أربعة من الأنصار.

ثم انصرف رسول الله من الجعرانة وأفاه هنالك وفد هوازن مسلمين راغبين فخيرهم بين العيال والأبناء والأموال، فاختاروا العيال والأبناء. وكلموا المسلمين في ذلك بأمر رسول الله ، فقال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم. وقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ، وامتنع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن أن يردا عليهم ما وقع لهما من الفيء، وساعدهما قومهما. وامتنع العباس بن مرادس كذلك، وخالفهم بنو سليم وقالوا: ما كان لنا فهو لرسول الله . فعرض رسول من لم تطب نفسه عن نصيبه، ورد عليهم نساءهم وأبناءهم بأجمعهم. وكان عدد سبي هوازن ستة آلاف بين ذكر وأنثى فيهن الشيما أخت النبي من الرضاعة، وهى بنت الحرث بن عبد العزى من بني ساعدة بن بكر من هوازن وأكرمها رسول الله وأحسن إليها، وخيرها فاختارت قومها، فردها إليهم، وقسم الأموال بين المسلمين. ثم أعطى من نصيبه من خمس الخمس قوما يستألفهم على الإسلام من قريش وغيرهم. فمنهم من أعطاه مائة مائة، ومنهم خمسين خمسين، ومنهم ما بين ذلك، ويسمون المؤلفة، وهم مذكورون في كتب السير يقاربون الأربعين: منهم أبو سفيان وابنه معاوية وحكيم بن خزام وصفوان بن أمية ومالك بن عوف وفي هم. ومنهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، والأقرع بن الحابس وهما من أصحاب المائة. وأعطى ابن عباس بن مرادس دونهما فأنشده أبياته المعروفة يتسخط فيها فقال: اقطعوا عني لسانه، فأتموا إليه المائة، ولما أعطى المؤلفة قلوبهم وجد الأنصار في أنفسهم إذا لم يعطهم مثل ذلك، وتكلم شبانهم مع ما كانوا يظنون أنه إذا فتح الله عليه بلده يرجع إلى قومه ويتركهم، فجمعهم ووعظهم وذكرهم وقال: إنما أعطي قوما حديثي عهد بالإسلام أتألفهم عليه، أما ترضون أن ينصرف الناس بالشاء والبعير، وتنصرفوا برسول الله إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار. ولو سلك الأنصار شعباً وسلك بالناس شعبا لسلكت شعب الأنصار فرضوا وافترقوا.

ثم اعتمر رسول الله من الجعرانة الى مكة ثم رجح إلى المدينة فدخلها لست

بقين من ذي القعدة من السنة الثامنة لشهرين ونصف من خروجه، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد شابا ينيف عمره على عشرين سنة، وكان غلبه الورع والزهد، فأقام الحج بالمسلمين فى سنته، وهو اول أمير أقام حج الإسلام، وحج المشركون على مشاعرهم. وخلف بمكة معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن، وبعث عمرو بن العاص إلى أهل حنين وعمرو بن الجلندي من الأزد بعماد مصدقاً، فأطاعوا له بذلك، واستعمل مالك بن عوف على من أسلم من قومه ومن سلم منهم، وما له حوالي الطائف من ثقيف. وأمره بمغادرة الطائف من التضييق عليهم ففعل حتى جاؤوا مسلمين كما يذكر بعد. وحسن إسلام المؤلفة قلوبهم ممن اسلم يوم الفتح أو بعده، وإن كانوا متفاوتين في ذلك.

ووفد على النبي كعب بن زهير فأهدر دمه وضاقت به الأرض وجاء فأسلم،

وانشد النبي قصيدته المعروفة بمدحه التي أولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول الخ.

وأعطاه بردة في ثواب مدحه فاشتراها معاوية من ورثته بعد موته وصار الخلفاء يتوارثونها شعاراً.

غزوة تبوك

ووفد في السنة تسع على رسول الله بالمدينة بنو أسد فأسلموا وكان منهم

ضرار بن الأزور وقالوا: قدمنا يا رسول الله قبل أن يرسل إلينا فنزلت: (يمنون عليك أن أسلموا) الآية. ووفد فيها وفدتين في شهر ربيع الأول، ونزلوا على رويفع بن ثابت البلوي، وأقام رسول الله بالمدينة بعد منصرفه من الطائف في ذي الحجة إلى شهر رجب من السنة التاسعة.

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وكان في غزواته كثيرا ما يوري بغير الجهة التي يقصدها على طريقه الحرب، إلا ما كان من هذه الغزاة لعسرها بشدة الحرب، وبعد البلاد وفصل الفواكه، وقلة الظلال وكثرة العدو الدين يصدون. ونجهز الناس على ما في أنفسهم من استثقال ذلك، وطفق المنافقون يثبطونهم عن الغزو، وكان نفر منهم يجتمعون في بيت بعض اليهود، فأمر طلحة بن عبيد الله أن يخرب عليهم البيت خربها واستأذن ابن قيس من بني سلمة في العقود فأذن له، وأعرض عنه. وانتدب كثير من

المسلمين للإنفاق والحملان وكان من أعظمهم في ذلك عثمان بن عفان، يقال إنه أنفق فيها ألف دينار وحمل على تسعمائة بعير، ومائة فرس وجهز ركاباً.

وجاء بعض المسلمين يستحمل رسول الله ﷺ، فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا
باكين لذلك. وحمل بعضهم يامين بن عمير النضير وهما أبو ليلى بن كعب من بني مازن ابن النجار وعبد الله بن مغفل المزني.

واعتذر المخلفون من الأعراب، فعذرهم رسول الله ﷺ. ثم نهض وخلف على المدينة محمد بن مسلمة، وقيل بل سباع بن غرفطة، وقيل بل علي بن أبي طالب. وخرج معه عبد الله بن أبي بن سلول في عدد وعدة، فلما سار ﷺ تخلف هو فيمن تخلف من المنافقين.

ومر ﷺ بالحجر على ديار ثمود، فأمر أن لا يستعمل ماؤها، ويعلف ما عجن منه للإبل، وأذن لهم في بئر الناقة، وأمر أن لا يدخلوا عليهم بيوتهم إلا باكين، ونهى أن يخرج أحد منفردا عن صاحبه.
خرج رجلان هن بني ساعدة جن أحدهما فمسح عليه فشفي، والآخر رمته الريح

في جبل طيء، فردوه بعد ذلك إلى النبي ﷺ. وضل ﷺ عن ناقته في بعض الطريق، فقال أحد المنافقين: محمد يدعي علم خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وأن الناقة بموضع كذا، وكان قد أوحي إليه بها فوجدوها ثم. وكان قائل هذا القول زيد بن اللصيت من بني قينقاع، وقيل إنه تاب بعد ذلك. وفضح الوحي قوماً من المنافقين كانوا يخذلون بالناس ويهولون عليهم أمر الروم، تاب منهم مخشي بن جهير ودعا أن يكفر عنه بهادة يخفي مكانه، فقتل يوم اليمامة.

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تسوك أتاه يحينة بن رؤية صاحب ايلة وأهل جرياء
وأذرح فصالحوا على الجزية وكتب لكل كتابا.

وبعث ﷺ خالد بن الوليد إلى تبوك بن عبد الملك صاحب دومة الجندل من كندة
كان ملكا عليها وكان نصرانيا، وأخبر أنه يجده يصيد البقر. واتفق أن بقر الوحش باتت تهذ القصر بقرونها فنشط أكيدر لصيدها،

وخرج ليلا فوافى وصوله خالداً، فأخذه وبعث به إلى رسول الله ﷺ فعفا عنه وصالحه على الجزية ورده، وأقام بتبوك عشرين ليلة. ثم

انصرف وكان في طريقه ماء قليل نهى أن يسبق إليه أحد، فسبق رجلان واستنفدا ما فيه،

فنكر عليهما ذلك. ثم وضع يده تحت وشلة، فصب ما شاء الله أن يصب، ونضح بالوشل ودعا فجاش الماء حتى كفى العسكر.

وأخبر كيد أن ذلك الموضع سمي جنابا، ولما قرب من المدينة بساعة من نهار أنفذ مالك بن الدخشم من بني سليم ومعن بن عدي من بني العجلان إلى مسجد الضرار فأحرقاه وهدماه، ولد كان جماعة من المنافقين بنوه وأتوا إلى النبي وهو يتجهز إلى تبوك، فسألوه الصلاة فيه، فقال أنا على سفر، ولو قدمنا أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما رجع أمر بهدمه.

وفي هذه الغزاة تخلف كعب بن مالك من بني سلمة، ومرارة بن الربيع من بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية بن واقف وكانوا صالحين. فنهى عن كلامهم خمسين يوما، ثم نزلت توبتهم. وكان المتخلفون من كير عذر نيفا وثلاثين رجلا. وكان وصوله من تبوك في رمضان سنة تسع وفيه كانت وفادة ثقيف وإسلامهم. ونزل الكثير من سورة براءة في شأن المنافقين، وما قالوه في غزوة تبوك، آخر غزوة غزاها .

إسلام عروة بن مسعود ثم وفد ثقيف وهدم اللات

كان لما أفرج عن الطائف، وارتحل إلى المدينة اتبعه عروة بن مسعود سيدهم، فأدركه في طريقه وأسلم ورجع يدعو قومه، فرمي بسهم في سطح بيته وهو يؤذن للصلاة، فمات ومنع قومه من الطلب بدمه وقال: هي شهادة ساقها الله إلي، وأوصى ان يدفن مع شهداء المسلمين. ثم قدم ابنه أبو المليح وقارب بن مسعود فأسلما، وضيق مالك بن عوف على ثقيف، واستباح سرحهم، وقطع سابلتهم. وبلغهم رجوع النبي من تبوك واتمروا في الوفادة، وعلموا أن لا طاقة لهم بحرب العرب المسلمين. وفزعوا إلى عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فشرط عليهم ان يبعثوا معه رجالاً منهم ليحضروا مشهده خشية على نفسه مما نزل بعروة، فبعثوا معه رجلين من احلاف قومه وثلاثا من بني مالك، فخرج بهم عبد ياليل، وقدموا على رسول الله فى رمضان من السنة التاسعة يريدون البيعة والإسلام، فضرب لهم قبة في المسجد. وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي في أمرهم، وهو الذي كتب كتابهم بخطه، وكانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم حتى يأكل منه خالد، وسألوه أن يدع لهم اللات ثلاث سنين، رعيا لنسائهم وأبنائهم حتى

يأنسوا، فأبى وسألوه أن يعفيهم من الصلاة. فقال لا خير في دين لا صلاة فيه، فسألوه ان لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال: اما هذه فأنا سنكفيكم منها، فأسلموا وكتب لهم وافر عليهم عثمان بن أبي العاص أصغرهم سنا لأنه كان حريصا على الفقه وتعلم القرآن. ثم رجعوا إلى بلادهم، وخرج معهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم اللات، وتأخر أبو سفيان حتى دخل المغيرة، فتناولها بيده ليهدمها، وقام بنو معتب دونه خشية عليه. ثم جاء أبو سفيان، وجمع ما كان لها من الحلي وقضى منه دين عروة والأسود ابني مسعود، كما أمر النبى وقسم الباقي.

الوفود

ولما فرغ رسول الله من تبوك، وأسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل
وجه، حتى لقد سميت سنة الوفود. قال ابن اسحق: وإنما كانت العرب تتربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر النبي .
وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت والحرم، وصريح ولد إسماعيل وقادتهم لا ينكرون دلك. وكانت قريش هي التى نصبت لحربه وخلافه. فلما افتتحت مكة، ودانت قريش ودخلها الإسلام، عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه وعداوته، فدخلوا في دية أفواجاً يضربون إليه من كل وجه انتهى.
فأول من قدم إليه بعد تبوك وفد بني تميم، وفيه من رؤوسهم عطارد بن حاجب بن
زرارة بن عدس من بني دارم بن مالك، والحباب بن يزيد والاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر من بني سعد، وقيس بن عاصم وعمرو بن الاهتم وهما من بني منقبر، ونعيم بن زيد ومعهم عيينة بن حصن الفزاري. وقد كان الأقرع وعيينة شهدا فتح مكة وخيبر وحصار الطائف، ثم جاءا مع وفد بني تميم. فلما دخلوا المسجد نادوا من وراء الحجرات، فنزلت الآيات في إنكار ذلك عليهم. ولما خرج قالوا: جئنا نفاخرك بخطيبنا وشاعرنا فأذن لهم، فخطب عطارد وفاخر، ويقال والأقرع بن حابس. ثم انشد الزبرقان بن بدر شعرا بالمفاخرة، ودعا رسول الله ثابت بن قيس بن الشماس من بني الحرث بن الخزرج فخطب، وحسان بن ثابت فانشد، مساجلين لهم. فاذعنوا للخطبة والشعر والسؤدد والحلم وقالوا: هذا الرجل هو مؤيد من الله، خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره اشعر من شاعرنا، وأصواتهم اعلى من أصواتنا ثم اسلموا. واحسن

رسول الله جوازهم. وهذا كان شأنه مع الوفود ينزلهم إذا قدموا ويجهزهم إذا رحلوا.

ثم قدم على رسول الله في آخر رمضان مقدمه من تبولى كتاب ملوك حمير مع رسولهم، ومع الحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان، قيل ذي رعين وهمدان ومعافر. وبعث زرعة بن ذي يزن رسوله مالك بن مرة الرهاوي باسلامهم ومفارقة الشرك وأهله، وكتب إليهم النبي كتابه.

وبعث إلى ذي يزن معاذ بن جبل مع رسوله مالك بن مرة لجمع الصدقات، وأوصاهم برسله معاذ وأصحابه. ثم مات عبد الله بن أبي بن سلول في ذي القعدة، ونعى رسول الله النجاشي وإنه مات في رجب قبل تبوك.

وقدم وفد بهرا في ثلاثة عشر رجلاً، ونزلوا على المقداد بن عمرو وجاء بهم فأسلموا وأجازهم وانصرفوا.

وقدم وفد بني البكاء ثلاثة نفر منهم، وقدم وفد بني فرازة بضعة عشر رجلا، فيهم خارجة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس فأسلموا. ووفد عدي بن حاتم بن طيء فأسلم. وكان رسول الله قد بعث قبل تبوك إلى بلاد طيء عفي بن أبي طالب في سرية فأغار عليهم، وأصيب حاتم وسبيت ابنته، وغنم سيفين في بيت أصنامه كانتا من قربان الحرث بن أبي شمر. وكان عدي قد هرب قبل ذلك ولحق ببلاد قضاعة بالشام فراراً من جيوش المسلمين، وجوارا لأهل دينه من النصارى، وأقام بينهم، ولما سيقت ابنة حاتم جعلت في الحظيرة بباب المسجد التي كانت السبايا تحبس بها.

ومر بها رسول الله فكلمته أن يمن عليها فقال: قد فعلت ولا تعجلي حتى تجدي ذا ثقة من قومك يبلغك إلى بلادك. ثم آذنيني قالت: فأقامت حتى قدم ركب من بني قضاعه وأنا أريد أن آتى أخي بالشام، فعرفت رسول الله فكسانى وحملني وزودنى وخرجت معه، فقدمت الشام. فلما لقيها عدي تلاوم ساعة ثم قال لها: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ فأشارت عليه باللحاق به، فوفد وأكرمه رسول الله وأدخله إلى بيته، وأجلسه على وسادته بعد أن استوقفته في طريقه امراة فوقف لها. فعلم عدي أنه ليس بملك، وإنما هو نبي. ثم أخبره عن أخذه المرباع من قومه ولا يحل له، فازداد استبعادا فيه ثم قال: لعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة

عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف، أو لعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان لغيرهم، فيوشك أن تسمع بالقصور البيض من بابل قد فتحت. فأسلم عدي وانصرف إلى قومه. ثم أنزل الله على نبيه الأربعين آية من سورة براءة في نبذ العهد الذي بينه وبين المشركين، لا يصدوا عن البيت ونهوا أن يقرب المسجد الحرام مشرك بعد ذلك، وأن لا يطوف بالبيت عرياناً، وان كان بينه وبين رسول الله عهد يتم له إلى مدته، وأجلهم أربعة اشهر من يوم النحر، فبعث رسول الله بهذه الآيات أبا بكر وأمره على إقامة الحج بالموسم من هذه السنة، فبلغ ذي الحليفة، فاتبعه بعلي فأخذها منه، فرجع أبو بكر مشفقاً أن يكون نزل فيه قرآن. فقال له النبي الله : لم ينزل شيء ولكن لا يبلغ عني غيرى أو رجل مني. فسار أبو بكر على الحج وعلي على الأذن ببراءة. فحج أبو بكر بالناس وهم على حج الجاهلية. وقام علي عند العقبة يوم الأضحى فأذن بالاية التي جاء بها. قال الطبرى: وفي هذه السنة فرضت الصداقات لقوله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الآية.

وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ ووفد هذيم من قضاعة قال الطبري: وفيها بعث بنو سعد بن بكر ضمضام بن ثعلبة وافدا، فاستحلف رسول الله على ما جاء به من الإسلام، وذكر التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج واحدة واحدة، حتى إذا فرغ تشهد وأسلم وقال: لأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيت عنه ثم لا أزيد عليها ولا انقص فلما انصرف قال : إن صدق دخل الجنة. ثم قدم على قومه فأسلموا كلهم يوم قدومه، والذي عليه الجمهور أن قدوم ضمضام وقصته كانت سنة خمس.

ثم دخلت سنه عشر فبعث رسول الله خالد بن الوليد في ربيع أو جمادى في سرية أربعمائة إلى نجران وما حولها يدعو بني الحرث بن كعب إلى الإسلام، ويقاتلهم ان لم يفعلوا، فأسلموا وأجابوا داعيته. وبعث الرسل في كل وجه فأسلم الناس فكتب بذلك إلى رسول الله فكتب إليه بأن يقدم مع وفدهم، فأقبل خالد ومعه وفد بني الحرث بن كعب، منهم قيس بن الحصين ذو القصة، ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قريض الزيادي وشداد بن

عبد الله الضبابي وعمرو بن عبدالله الضبابي، فأكرمهم النبي
وقال لهم: بم كنتم تغلبون من يقاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحداً بظلم، قال صدقتم فأسلموا وأمر

عليهم قيس بن الحصين، ورجعوا صدر ذي القعدة من سنة عشر، ثم اتبعهم عمرو بن حزام من بني النجار ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة، وكتب إليه كتاباً عهد إليه في عهده وأمره بأمره. وأقام عاملاً على نجران. وهذا الكتاب وقع في السير مرويا واعتمده الفقهاء في الإستدلالات وفيه مآخذ كثيرة للأحكام الفقهية ونصه.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله ورسوله، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، عهدا من محمد النبي

رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وآمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه. وينهى الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتد عليهم في الظلم، فإن الله حرم الظلم ونهى عنه فقال: الا لعنة الله على الظالمين. وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس بالنار وعملها، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه، وما أمر الله به، والحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة. وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب صغير إلا أن بكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقه، وينهى أن يختبىء أحد في ثوب واحد ويفضي بفرجه إلى السماء، وينهى أن يقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعاؤه إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا القبائل والعشائر فليعطفوه بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له. ويأمر الناس بأسباغ الوضوء في وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين، ويمسحوا برؤوسهم كما أمرهم الله. وأمرهم بالصلاة بوقتها وإتمام الركوع والسجود؛ يغلس بالصبح، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة، والمغرب حين يقبل الليل لا تؤخر حتى تبدو نجوم السماء، والعشاء أول الليل. وآمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الرواح إليها، وآمره أن يأخذ من الغنائم خمس الله، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين أو سقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر. وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عرين أربع شياة، وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من

البقر تبيع أو تبيعة جذع أو حذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة. فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين فى الصدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له. وإنه من اسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه، ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية. وعلى كل محتلم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف أو عوضه ثيابا. فمن أدى ذلك فإن له ذمة الإسلام ذمة الله وذمة رسوله. ومن منع ذلك فإنه عدو لذ ولرسوله وللمؤمنين جميعا. صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمته وبركاته.

وقدم وفد غسان في رمضان من هذه السنة العاشرة في ثلاثة نفر فأسلموا وانصرفوا

إلى قومهم، فلم يجيبوا إلى الإسلام فكتموا أمرهم وهلك اثنان منهم، ولقي الثالث أبو عبيدة عام اليرموك فأخبره بإسلامه، وقدم فيه وفد عامر عشرة نفر فأسلموا وتعلموا شرائع الإسلام وأقرأهم النبى القرآن وانصرفوا.

وقدم في شوال وفد سلامان بسبعة نفر، رئيسهم حبيب فأسلموا عن قومهم وتعلموا

القرآن وانصرفوا. وفيها قدم أزد جرس، وفد فيهم صرد بن عبد الله الأزدي في عشرة من قومه، ونزلوا على فروة بن عمرو. وأمر النبي بعد أن أسلموا صردا على من أسلم منهم، وأن يجاهد المشركين حوله. فحاصر جرش ومن بها من خثعم وقبائل اليمن، وكانت مدينة حصينة اجتمع إليها أهل اليمن حين سمعوا بزحف المسلمين، فحاصرهم شهرا. ثم قفل عنهم فظنوا أنه انهزم، فاتبعوه إلى جبل شكر، فصف وحمل عليهم ونال منهم، وكانوا بعثوا إلى رسول الله رائدين وأخبرهما ذلك اليوم بواقعة شكر. وقال: إن بدن الله لتنحر عنده الآن، فرجعا إلى قومهما فأخبراهم بذلك وأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم.

ومنها كان إسلام همدان ووفادتهم على يد علي رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فمكث ستة أشهر لا يجيبونه، فبعث عليه السلام علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً، فلما بلغ علي أوائل اليمن جمعوا له، فلما لقوه صفوا فقدم علي الإنذار وقرأ عليهم كتاب رسول الله ، فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم

وكاتب بذلك إلى النبي فسجد لله شكرا ثم قال: السلام على همدان ثلاث مرات. ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام،

وقدمت وفودهم، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي قد قال لقيس بن مكثوم المرادي: إذهب بنا إلى هذا الرجل فلن يخفى علينا أمره، فأبى قيس من ذلك. فقدم عمرو على النبي فأسلم.

وكان فروة بن مسيك المرادي على زبيد لأنه وفد قبل عمرو مفارقاً لملوك كندة، فأسلم ونزل على سعد بن عبادة وتعلم القرآن وفرائض الإسلام، واستعمله رسول الله على مراد وزبيد ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معهم في بلاده حتى كانت الوفاة. وفي هذه السنة قدم وفد عبد القيس يقدمهم الجارود بن عمرو، وكانوا على دين النصرانية، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم. ولما كانت الوفاة إرتد عبد القيس ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر الذي يسمى الغرور وثبت الجارود على الإسلام وكان له المقام المحمود، وهلك قبل أن يرجعوا. وقد كان رسول الله بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبدي فأسلم وحسن إسلامه وهلك بعد الوفاة، وقبل ردة أهل البحرين والعلاء أمير عنده لرسول الله على البحرين.

وفي هذه السنة قدم وفد بني حنيفة في سنة عشر فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب،

ورجال بن عنفوة، وطلق بن علي بن قيس، وعليهم سلمان بن حنظلة، فأسلموا وأقاموا أياما يتعلمون القرآن من أبي بن كعب ورجال يتعلم وطلق يؤذن لهم ومسيلمة في الرحال، وذكروا للنبي مكانه في رحالهم فأجازه. وقال: ليس بشركم مكان لحفظه رحالكم. فقال مسيلمة: عرف أن الأمر لي من بعده. ثم ادعى مسيلمة بعد ذلك النبوة، وشهد له طلق إن رسول الله أشركه في الأمر فافتتن الناس به كما سنذكره.

وفيها قدم وفد كندة يقدمهم الأشعث بن قيس في بضعة عشر وقيل في ستين وقيل

في ثمانين، وعليهم الديباج والحرير وأسلموا، ونهاهم النبي عنه فتركوه. وقال له اشعث: نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فضحك وقال: ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث وكانا تاجرين فإذا ساحا في أرض العرب قال: نحن بنو آكل المرار فيعتز بذلك، كأن لهم عليه ولادة من الأمهات. ثم قال: نحن بنو النضر بن كنانة فانتفوا منا ولا ينتفي من إلينا.

وقدم مع وفد كندة وفد حضرموت وهم بنو وليعة، وملوكهم صمرة ومخوش ومسرح والضعة فأسلموا ودعا لمخوش بإزالة الرتة من لسانه.

وقدم وائل بن جر راكبا في الإسلام، فدعا له ومسح رأسه ونودي الصلاة جامعة
سرورا لقدومه، وأمر معاوية أن ينزل بالحرة فمشى معه وكان راكبا فقال له معاوية: أعطني نعلك اتوقى بها الرمضاء، فقال: ما كنت لألبسها وقد لبستها، وفي رواية لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة لبس نعل ملك ففال: اردفني فقال: لست من ارداف الملوك. ثم قال: إن الرمضاء قد أحرقت قدمي قال: امشى في ظل ناقتي كفاك به شرفا. ويقال أنه وفد على معاوية في خلافته فأكرمه.

وكتب له رسول الله كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم.
هذا كتاب محمد النبي لوائل بن حجر قيل حضر موت، إنك إن أسلمت جعلت
ك ما في يديك من الأرض والحصون، ويؤخذ منك من كل عشرة واحدة، ينظر في ذلك ذوو عدل منكم، وجعلت لك الا تظلم فيها

معلم الدين. والنبي والمؤمنون عليه أنصار قال عياض: وفيه إلى الأقيال العباهلة والاوراع المشابيب وفيه في العبية شاة مقورة، لا لياط ولا ضناك، وفي السيوب الخمس ومن زنى من بكر فاصفعوه مائة، واستوفضوه عاماً، ومن زنى من ثيب ففرجوه بالأصاحيم، ولا توصيم في الدين، ولا غمة في فرائض الله، وكل مسكر حرام، ووائل بن حجر يترفل على الأقيال.
وفيها قدم وفد محارب في عشرة نفر فأسلموا، وفيها قدم وفد الرها من مذحج في
خمسة عشر نفرا وأهدوا فرساً فأسلموا وتعلموا القرآن

وانصرفوا. ثم قدم نفر منهم وحجوا مع رسول الله ، وتوفي فأوصى لهم بمائة وسق من خيبر جارية عليهم من الكتيبة، وباعوها من معاوية..

وفيها قدم وفد نجران النصارى في سبعين راكباً يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل والسيد الأيهم، وجادلوا عن دينهم. فنزل صدر سورة آل عمران وآية المباهلة فأبوا منها وفرقوا وسألوا الصلح، وكتب لهم به على ألف حلة في صفر وألف في رجب، وعلى دروع ورماح وخيل وحمل ثلاثين من كل صنف. وطلبوا أن يبعث معهم والياً يحكم بينهم، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ثم جاء العاقب والسيد وأسلما.

وفيها قدم وفد الصدف من حضرموت في بضعة عثر نفرا فأسلموا وعلمهم أوقات

الصلاة، وذلك في حجة الوداع وفي هذه السنة قدم وفد عبس قال ابن الكلبي: وفد منهم رجل واحد فاسلم ورجح ومات في طريقه وقال الطبري. وفيها وفد عدي بن حاتم في شعبان انتهى.
وفيها قدم وفد خولان عشرة نفر فأسلموا وهدموا صنمهم، وكان وفد على
رسول الله في هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الضبيبى
من جذام وأهدى غلاما فأسلم. وكتب رسول الله كتابا يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا، ولم يلبث أن قفل دحية بن حليفة الكلبي
منصرفاً من عند هرقل حين بعثه النبي ومعه تجارة، فأغار عليه الهنيد بن عوص وقومه بنو الضليع من بطون جذام، فأصابوا كل شيء معه وبلغ ذلك مسلمين من بني الضبيب فاستنفذوا ما أخذه
الهنيد وابنه وردوه على دحية. وقدم دحية على النبي فأخبره
الخبر فبعث النبي زيد بن حارثة في جيش من المسلمين فأغار عليهم بالقضقاض من حرة الرمل، وقتلوا الهنيد وابنه في جماعة وكان معهم ناس من بني الضبيب فاستباحوهم معهم وقتلوهم.
فركب رفاعة بن زيد ومعه أبو زيد بن عمرو من قومه في جماعة
منهم، فقدموا على النبي وأخبروه الخبر فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقالوا: يا رسول الله أطلق لنا من كان حيا فبعث معهم علي بن أبي طالب وحمله على جمل وأعطاه سيفه، فلحقه بفيفاء الفحلتين، وأمره برد أموالهم فردها. وفي هذه السنة قدم وفد عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن ربيعة بن مالك فقال له عامرة يا محمد اجعل لي الأمر بعدك فقال: ليس ذلك لك ولا لقومك قال: اجعل لي الوبر ولك المدر، قال لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل فإنك أمرؤ فارس. فقال لاملأنها عليك خيلاً ورجلا ثم ولوا فقال: اللهم أكفنيهم، اللهم اهد عامرا وأغن الإسلام عن عامر.
وذكر ابن اسحاق والطبري أنهما أرادا الغدر برسول الله فلم يقدروا عليه في
قصة ذكرها أهل الصحيح، ثم رجعوا إلى بلادهم فأخذه الطاعون في عنقه فمات في طريقه في أحياء بمي سلول، وأصابت أخاه أربد صاعقة بعد ذلك. ثم قدم علقمة بن علاثة بن عوف، وعوف بن خالد بن ربيعة وابنه فاسلموا.
وفيها قدم وفد طيء في خمسة عشر نفراً يقدمهم سيدهم زيد الخيل، وقبيصة بن

الأسود من بني نبهان فأسلموا. وسماه رسول الله زيد الخير، وأقطع له بئراً وأرضين معها وكتب له بذلك ومات في مرجعه.

وفي هذه السنة ادعى مسيلمة النبوة وأنه أشرك مع رسول الله في الأمر، وكتب
إليه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك فإني قد اشركت في الأمر معك، وأن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريش قوم لا يعدلون، وكتب إليه رسول الله .

بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب! سلام على من اتبع الهدى؟ أما بعد
فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قال الطبري: وقد قيل: إن ذلك كان بعد منصرف النبي من حجة الوداع كما نذكر.

حجة الوداع

ثم خرج النبي إلى حجة الوداع في خمس ليال بقين من ذي القعدة، ومعه من أشراف الناس ومائة من الإبل هدايا ودخل مكة يوم الأحد لأربع خلون من ذي الحجة ولقيه علي بن أبي طالب بصدقات نجران، فحج معه وعلم الناس مناسكهم واسترحمهم وخطب الناس بعرفة خطبته التي بين فيها ما بين حمد الله والثناء عليه ثم قال: أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت. فمن كان عنده أمانه فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وان كان ربا فهو موضوع: فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا، إن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع كله، وإن أول دم وضع دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان مسترضعا في بني ليث، فقتله بنو هذيل، فهو أول ما أبدىء من دم الجاهلية. أيها الناس! إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم. أيها الناس! إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه إلى فيحلوا ما حرم الله ولحرموا ما أحلى الله، ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله

السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الفرد الذي بين جمادي وشعبان. أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا. لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكوهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيراً، فانهن عندكم عوار لا يملكن لأنفسهن من الخير شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي، فإني قد بلغت وتركت فيكم ما إن استعصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس! اسمعوا قولي، واعلموا ان كل مسلم أخو المسلم، وإن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس، فلا تظلموا أنفسكم. اللهم قد بلغت فذكر أنهم قالوا اللهم نعم. فقال رسول الله اللهم اشهد.

وكانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ وحجة الوداع، لأنه لم يحج بعدها وقد كان
حج قبل ذلك حجتين، واعتمر مع حجة الوداع عمرة فتلك ثلاث. ثم انصرف إلى المدينة في بقية ذي الحجة من العاشرة.

العمال على النواحي

كان رسول الله حين أسلم باذان: عامل كسرى على اليمن، وأسلمت اليمن
أفره على جميع محاليفها ولم يشرك معه فيها أحد حتى مات. وبلغه موته وهو منصرف من حجة الوداع فقسم عمله على جماعة من الصحابة. فولى على صنعاء ابنه شمر بن باذان، وعلى مأرب أبا موسى الأشعرى، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى همدان عامر بن شمر الهمداني، وعلى عك والاشعريين الطاهر بن أبي هالة وعلى ما بين نجران وزمع وزبيد خالد بن سعيد بن العاص، وعلى نجران عمرو بن حزام، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور بن اصغر الغوثي، وعلى معاوية بن كندة عبد الله المهاجر بن أبي أمية، واشتكي المهاجر فلم يذهب، فكان زياد بن لبيد يقوم على عمله. وبعث بن جبل معلما لأهل اليمن وحضرموت وكان قبل ذلك قد بعث على الصدقات عدي بن حاتم على صدقة طيء، وأسد

ومالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وقسم صدقة بني سعد بين رجلين منهم، وبعث العلاء بن الحضرمى على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويقدم عليه بها، فوافاه من حجة الوداع كما مر

خبر العنسي

كان الأسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب، ولقبه ذو الخمار، وكان كاهناً مشعوذاً
يفعل الأعاجيب، ويخلب بحلاوة منطقه، وكانت داره كهف خيار، بها ولد ونشأ وادعى النبوة، وكانت مذحجا عامة، فأجابوه وأوعدوا نجران فوثبوا بها، وأخرجوا عمرو بن حزام وخالد بن سعيد بن العاص وأقاموه في عملها. ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد فأجلوه. وسار الأسود في سبعمائة فارس إلى شهر بن باذان مجنعاء، فلقيه شهر بن باذان، فهزمه الأسد فقتله، وغلب على ما بين صنعاء وحضرموت إلى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدد، وجعل يطير استطارة الحريق، وعامله المسلمون بالتقية، وارتد كثير من أهل اليمن. وكان عمرو بن معد يكرب مع خالد بن سعيد بن العاص، فخالفه واستجاب للأسود، فسار إليه خالد ولقيه، فاختلفا ضربتين، فقطع خالد سيفه الصمصامة، وأخذها ونزل عمرو عن فرسه وفتك في الخيل، ولحق عمرو بن الأسود فولاه على مذحج، وكان أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث المرادي، وأمر الأبناء إلى فروزودادويه، وتزوج امرأة شهر بن باذان، واستفحل أمره. وخرج معاذ بن جبل هارباً ومر بأبي موسى الأشعري في مأرب فخرج معه، ولحقا بحضرموت. ونزل معاذ فى السكون، وأبو موسى في السكاسك، ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدينة. وأقام الطاهر بن أبى هالة ببلاد عك: جبال صنعاء. فلما ملك الأسود اليمن واستفحل استخف بقيم بن عبد يغوث، وبفيروز ودادويه، وكانت ابنة عم فيروز هي زوجة شهر بن باذان التي تزوجها الأسود بعد مقتله، واسمها أزاد. وبلغ إلى النبي فكتب مع وبر بن عنيس إلى الأبناء، وأبى موسى ومعاذ والطاهر يأمرهم فيه أن يعملوا في أمر الأسود بالغيلة أو المصادقة. ويبلغ عنه ما يروم عنده دينا أو نجده، وأقام معاذ والأبناء فى ذلك فدخلوا قيس بن عبد يغوث في أمره فأجاب، ثم داخل فيروز بنت عمه زوجة الاسود فواعدته قتله. وكتب النبي إلى عامر بن شمر الهمداني وبعث جرير بن عبد الله إلى ذي الكلاع وذي أمران وذي ظليم من أهل ناحيته، وإلى أهل نجران من

عربهم ونصاراهم واعترضوا الأسود ومشوا وتنحوا إلى مكان واحد، وأخبر الأسود شيطانه بغدر قيس وفيروز ودادويه، فعاتبهم وهم بهم ففروا إلى امرأته، وواعدتهم أن ينقبوا البيت من ظهره، ويدخلوا فيبيتوه ففعلوا ذلك، ودخل فيروز ومعه قيس ففتل عنقه ثم ذبحه، فنادى بالأذان عند طلوع الفجر، ونادى دادويه بشعار الإسلام. وأقام وبر بن حنيس الصلاة، واهتاج الناس مسلمهم وكافرهم، وماج بعضهم في بعض، واختطف الكثير من أصحابه صبيانا من أبناء المسلمين، وبرزوا وتركوا كثيرا من أبنائهم. ثم تراسلوا في رد كل ما بيده، وأقاموا يترددون فيما بين صنعاء ونجران، وخلصت صنعاء والجنود. وتراجع أصحاب النبي إلى أعمالهم، وتنافسوا الإمارة في صنعاء. ثم اتفقوا على معاذ يصلي بهم، وكتبوا إلى رسول الله بالخبر، وكان قد أتاه خبر الواقعة من السماء فقال فى غداتها: قتل العنسي البارحة، قتله رجل مبارك وهو فيروز. ثم قدمت الرسل وقد توفي النبي .

بعث اسامة

ولما رجع النبي من حجة الوداع آخر ذي الحجة، ضرب على الناس في شهر المحرم بعثا إلى الشام، وأمر عليهم مولاه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم إلى الأردن من أرض فلسطين ومشارف الشام. فتجهز الناس، وأوعب معه المهاجرون الأولون، فبينا الناس على ذلك ابتدأ النبي بشكواه التي قبضه الله فيها إلى كرامته ورحمته، وتكلم المنافقون في شأن أسامة. وبلغ الخبر بارتداد الأسود ومسيلمة، وخرج رسول الله عاصبا رأسه من الصداع وقال: إني رأيت البارحة في نومي أن في عضدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمامة، وصاحب اليمن.

وقد بلغني أن أقواما تكلموا في أمارة أسامة، طعنوا في أمارته، لقد طعنوا في أمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لحقيقاً بالامارة، وإنه لحقيق بها انفروا. فبعث أسامة، فضرب أسامة بالحرق وتمهل، ونقل رسول الله وتوفاه الله قبل توجه أسامة.

أخبار الأسود ومسيلمة وطليحة

كان النبى بعد ما قضى حجة الوداع تحلل به السير، فاستكى وطارت الأخبار بذلك، فوثب الأسود باليمن كما مر، ووثب مسيلمة باليمامة، ثم وثب طليحة بن خويلد

في بني أسد يدعي كلهم النبوة. وحاربهم رسول الله بالرسل والكتب إلى عماله ومن ثبت على إسلامه من قومهم أن يجدوا في جهادهم. فأصيب الأسود قبل وفاته بيوم، ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله والذب عن دينه، فبعث إلى المسلمين من العرب في كل ناحية من نواحي هؤلاء الكذابين يأمرهم بجهادهم. وجاء كتاب مسيلمة إليه فأجابه كما مر. وجاء ابن أخي طليحة يطلب الموادعة، فدعا عليه حتى كان من حكم الله فيهم بعد وفاته ما كان.

مرضه

أول ما بدئ به رسول الله من ذلك أن الله نعى إليه نفسه بقوله: (إذا جاء نصر
الله والفتح) إلى آخر السورة. ثم بدأه الوجع لليلتين بقيتا من صفر، وتمادى به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استقر به في بيت ميمونة، فاستأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له، وخرج على الناس فخطبهم، وتحلل منهم، وصلى على شهداء أحد واستغفر لهم ثم قال لهم: إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده. وفهمها أبو بكر فبكى فقال: بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال : على رسلك يا أبا بكر. ثم جمع رسول الله أصحابه فرحب بهم وعيناه تدمعان ودعا لهم كثيرا وقال: أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأودعكم إليه، إني لكم نذير وبشير ألا تعلوا على الله في بلاده وعباده، فإنه قال لي ولكم: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) وقال: (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين)؟
ثم سألوه عن مغسله فقال : الأدنون من أهلي، وسألوه عن الكفن فقال: في ثيابي
هذه أو بياض مصر أو حلة يمانية. وسألوه عن الصلاه عليه فقال: دعوني على سريري في بيتي على شفير قبري، ثم أخرجوا عني ساعة حتى تصلى علي الملائكة، ثم ادخلوا فوجاً بعد فوج فصلوا وليبدأ رجال أهل بيتي ثم نساؤهم.
وسألوه عمن يدخله القبر فقال: أهلي. ثم قال: ائتوني بدواه وقرطاس، اكتب
لكم كتابا لا تضلون بعده فتنازعوا وقال بعضهم انه يهجر، وقال بعضهم أهجر؟ يستفهم. ثم ذهبوا يعيدون عليه، ثم قال: دعوني فما

أنا فيه خير مما تدعونني إليه. وأوصى بثلاث: أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأن يجيزوا الوفد كما

كان يجيزهم، وسكت عن الثالثة أو نسيها الراوي. وأوصى بالأنصار فقال: إنهم كرشي وعيلتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئتهم فقد أصحبتم يا معشر المهاجرين تزيدون، والأنصار لا يزيدون ثم قال: سدوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر، فإني لا أعلم امرءا أفضل يداً عندي في الصحبة من أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكرخليلا، ولكن صحبته إخاء وإيمان حتى يجمعنا الله عنده.

ثم ثقل به الوجع وأغمي عليه، فاجتمع إليه نساؤه وبنوه وأهل بيته والعباس وعلي.

ثم حضر وقت الصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت عائشة: إنه رجل أسيف لا يستطيع أن يقوم مقامك فمر عمر، فامتنع عمر وصلى أبو بكر. ووجد رسول الله خفة فخرج فلما أحس به أبو بكر تأخر فجذبه رسول الله وأقامه مكانه، وقرأ من حيث انتهى أبو بكر. ثم كان أبو بكر يصلي بصلاته والناس بصلاة أبي بكر. قيل صلوا كذلك سبع عشرة صلاة، وكان يدخل يده في القدح وهو في النزع فيمسح وجهه في الماء ويقول: اللهم أعني على سكرات الموت. فلما كان يوم الإثنين. وهو يوم وفاته خرج إلى صلاة الصبح عاصباً رأسه، وأبو بكر يصلي فنكص عن صلاته ورده رسول الله بيده، وصلى قاعدا على يمينه. ثم أقبل على الناس بعد الصلاه فوعظهم وذكرهم، ولما فرغ من كلامه قال له أبو بكر: إني أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب، وخرج إلى أهله في السنح. ودخل رسول الله في بيته فاضطجع في حجرة عائشة، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر عليه وفي يده سواك أخضر، فنظر إليه وعرفت عائشة أنه يريده قالت: فمضغته حتى لان وأعطيته إياه فاستن به ثم وضعه. ثم ثقل في حجري فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص وهويقول؟ الرفيق الأعلى من الجنة فعلمت أنه خير فاختار.

وفاته

وكانت تقول: قبض رسول الله بين سحري ونحري، وذلك نصف نهار يوم الاثنين لليلتين من شهر ربيع الأول ودفن من الغد نصف النهار من يوم الثلثاء، ونادى النبي في الناس بموته، وأبو بكر غائب في أهله بالسنح، وعمر حاضر فقام في الناس فقال: إن رجالا من المنافقين زعموا أن رسول الله مات، وأنه لم يمت

وأنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وليرجعن فيقطعن أيدي رجال وأرجلهم، وأقبل أبو بكر وقد بلغه

الخبر، فدخل على رسول الله فكشف عن وجهه وقبله وقال: بأبي أنت وأمي قد ذقت الموتة التي كتب الله عليك، ولن يصيبك بعدها موتة أبدا. وخرج إلى عمر وهو يتكلم فقال: أنصت! فأبى وأقبل على الناس يتكلم فجاءوا إليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى علبه وقال: أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية. فكان الناس لم يعلموا ان هذه الآية في المنزل قال عمر: فما هو الا أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أنه قد مات. وقيل تلا معها (إنك ميت وإنهم ميتون) الآية. وبينما هم كذلك إذ جاء رجل يسعى بخبر الأنصار انهم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يبايعوا سعد بن عبادة ويقولون: منا أمير، ومن قريش أمير، فانطلق أبو بكر وعمر وجماعة المهاجرين إليهم، وأقام علي والعباس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد يتولون تجهيز رسول الله ، فغسله علي مسنده إلى ظهره والعباس وابناه يقلبونه معه، وأسامة وشقران يصبان الماء وعلي يدلك من وراء القميص لا لفضي إلى بشرته بعد أن كانوا اختلفوا في تجهيزه. ثم أصابتهم سنة فخففونا وسمعوا من وراء البيت أن اغسلوه وعليه ثيابه ففعلوا؟ ثم كفنوه في ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيهن إدراجا، واستدعوا حفارين أحدهما يلحد والآخر يشق. ثم بعث إليهما العباس رجلين وقال: اللهم اغفر لرسولك، فجاء الذي يلحد، وهو أبو طلحة زيد بن سهل، كان يحفر لأهل المدينة، فلحد لرسول الله ، ولما فرغوا من جهازه يوم الثلثاء وضع على سريره في بيته. واختلفوا أيدفن في مسجده أو بيته. فقال أبو بكر: سمعته يقول. ما قبض نبي إلا يدفن حيث قبض، فرفع فراشه الذي قبض عليه وحفر له تحته. ودخل الناس يصلون عليه أفواجا الرجال ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد لا يؤم أحدهم أحداً، ثم دفن من وسط الليل ليلة الأربعاء. وعن عائشة توفي لاثنتي عشره ليلة هن ربيع الأول فكملت سنو الهجرة عشر سنين كوامل، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل خمس وستين سنة وقيل ستين.

خبرالسقيفة

ولما قبض رسول الله إرتاع الحاضرون لفقده، حتى ظن بعضهم أنه لم يمت واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، يبايعون سعد بن عبادة وهم يرون أن الأمر لهم

بما أووا ونصروا، وبلغ الخبر إلى أبي بكر وعمر فجاءوا إليهم، ومعهم أبو عبيدة، ولقيهم عاصم بن عدى وعويم بن ساعدة فأرادوهم على الرجوع وخفضوا عليهم الشأن فأبوا إلا أن يأتوهم، فأتوهم في مكانهم ذلك، فأعجلوهم عن شأنهم وغلبوهم عليه جماعاً وموعظة. وقال أبو بكر: نحن أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بأمره، ولا ننازع في ذلك وانتم لكم حق السابقة والنصرة، فنحن الأمراء وانتم الوزراء. وقال الحباب بن المنذر بن الجموح: منا أمير ومنكم أمير، وإن أبوا فاجلوهم يا معشر الأنصار عن البلاد، فبأسيافكيم دان الناس لهذا الدين. وإن شئتم اعدناها جذعة أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب. وقال عمر: إن رسول الله أوصانا بكم كما تعلمون، ولو كنتم الأمراء لأوصاكم بنا. ثم وقعت ملاحاة بن عمر والمنذر بن الحباب، وأبو عبيدة يخفضهما ويقول: اتقوا الله يا معشر الأنصار،أنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير. فقام بشير بن سعد بن النعمان بن كعب بن الخزرج فقال: ألا إن محمداً من قريش وقومه أحق وأولى، ونحن وإن كنا أولى فضل في الجهاد، وسابقة في الدين، فما أردنا بذلك إلا رضى الله وطاعة نبيه، فلا نبتغي به من الدنيا عوضاً، ولا نستطيل به على الناس. وقال الحباب بن المنذر: نفست والله عن ابن عمك يا بشير فقال لا والله! ولكن كرهت أن أنازع قوماً حقهم، فأشار أبو بكر إلى عمر وأبو عبيدة فامتنعا، وبايعا أبا بكر وسبقهما إليه بشير بن سعد. ثم تناجى الأوس فيما بينهم، وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النقباء، وكرهوا إمارة الخزرج عليهم، وذهبوا إلى بيعة أبي بكر فبايعوه. وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر. وكادوا يطأون سعد بن عبادة. فقال ناس من اصحابه: اتقوا سعداً ولا تقتلوه فقال عمر: اقتلوه قتله الله وتماسكا، فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر الرفق هنا ابلغ، فأعرض عمر، ثم طلب سعدا في البيعة فأبى وأشار بشير بن سعد بتركه وقال: إنما هو رجل واحد، فأقام سعد لا يجتمع معهم في الصلاة ولا يفيض معهم في الحديث حتى هلك أبو بكر. ونقل الطبري أن سعدا بايع يومئذ، وفي أخبارهم أنه لحق بالشام، فلم يزل هنالك حتى مات، وأن الجن قتله. وينشدون البيتين الشهيرين وهما:

نحن قتلنا سيد الخز رج سعد بن عباده
فرميناه بسه مين حين فلم نخط فؤاده

لما قبض رسول الله ﷺ

يا أسامه! اصنع ما أمرك به نبي الله، ابدأ ببلاد قضاعة ثم أنت آفل ولا تقصر بشىء

من أمر رسول الله ﷺ ثم ودعه من الجرف ورجع، وقد كان بعث معه من القبائل حولى المدينة الذين لهم الهجرة في ديارهم، وحبس من بقي منهم، فصار مسالح حول قبائلهم ومضى أسامة مغذا وانتهى لما أمره به النبي ﷺ، وبعث الجنود في بلاد قضاعة وأغار على أبنى فسبى وغنم، ورجع لأربعين يوما وقيل لسبعين ولم يحدث أبو بكر في مغيبه شيئاً، وقد جاء الخبر بارتداد العرب عامة وخاصة، إلا قريشا وثقيفا، واستغلظ أمر مسيلمة واجتمع على طليحة عوام طيء واشد، وارتدت غطفان وتوقفت هوازن فأمسكوا الصدقة، وارتد خواص من بني سليم وكذا سائر الناس بكل مكان. وقدمت رسل النبى ﷺ من

اليمن واليمامة وبني أسد من الأمراء من كل مكان بانتقاض العرب عامة أو خاصة. وحاربهم بالكتب والرسل، وانتظر بمصادمتهم لدوم أسامة، فعاجلته عبس وذبيان ونزلوا في الابرق، ونزل آخرون بذي القصة ومعهم خبال من بني اشد ومن انتسب إليهم من بنى كنانة.

وبعثوا وفداً إلى ألي بكر نزلوا على وجوه الناس يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة، فأبى أبو بكر من ذلك وجعل على أنقاب المدية عليا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود، وأخذ اهل المدينة، بحضور المسجد، ورجع وفد المرتدين واخبروا قومهم بقفة أهل المدينة، فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة، فبعثوا إلى أبي بكر فخرج في أهل المسجد على النواضح فهربوا والمسلمون في اتباعهم إلى ذي خشب. ثم نفروا إبلى المسلمين بلعبات اتخذوها فنفرت ورجعت بهم وهم لا يملكونها إلى المدينة، ولم يصبهم شيء. وظن القوم بالمسلمين الوهن فبعثوا إلى أهل ذي القصة يستقدمونهم. ثم خرج أبو بكر في التعبية وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى الساقة سويد بن مقرن وطلع عليهم مع الفجر واقتتلوا، فما ذر قرن الشمس إلا وقد هزموهم وغنموا ما معهم من الظهر، وقتل خبال واتبعهم: أبو بكر الى ذي القصة، فجهز بها النعمان بن مقرن فقي عدد ورجع إلى المدينة ووثب بنو ذبيان وعبس على من كان فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفعل ذلك غيرهم من المرتدين، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين مثل من قتلوهم من المسلمين وزيادة.

واعتز المسلمون بوقعة أبي بكر، وطرقت المدينة، صدقات. وقدم أسامة فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وخرج في نفر إلى ذي خشب وإلى ذي قصة. ثم سار حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق، وبها عبس ولم بيان وبنو بكر من كنانة وثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة، فاقتتلوا وانهزم القوم وأقام أبو بكر على الأبرق وحرم تلك البلاد على بني ذبيان، ثم رجع إلى المدينة.

ردة اليمن

توفي رسول الله وعلى مكة وبني كنانة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص علي المدر، ومالك بن عوف على الوبر، وعلى عجز هوازن

عكرمة بن أبي جهل، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزام على الصلاة، وأبو سفيان بن حرب على الصدقات، وعلى ما بين زمع وزبيد إلى نجران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى همدان كلها عامر بن شمر الهمداني، وعلى صنعاء فيروز الديلمي ومسانده دادويه وقيس بن مكشوح المرادي. ورجعوا إليها بعد مقتل الأسود، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى مأرب أبو موسى الأشعري، وعلى الأشعريين وعك الطاهر بن أبي هالة، وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياض وعكاشة بن ثور بن أصفر العوثي، وعلى كندة المهاجر بن أبي أمية. وقد كان رسول الله غضب عليه في غزوة تبوك فاسترضته له أم سلمة وولاه علي كندة، ومرض فلم يصل إليها. وأقام زياد بن لبيد ينوب عنه، وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن يتنقل على هؤلاء في أعمالهم.

وثار الأسود في حياة رسول الله ، وحاربه بالرسل وبالكتب فقتله الله، وعاد الإسلام في اليمن كما كان، فلمما بلغه الموت انتقضت اليمن وارتد أهلها في جميع النواحي، وكانت الغالة من جند العنسي بين نجران وصنعاء لا يأوون إلى أحد، ورجع عمرو بن حزام إلى المدينة واتبعه خالد بن سعيد. وكان عمرو بن معد يكرب بالجبال حيال فروة بن مسيك وابن مكشوح، وتحيل في قتل الأبناء فيروز ودادويه وخشنش، والاستبداد بصنعاء. وبعث إلى الغالة من جيش الأسود يغريهم بالأبناء ويعدهم بالمظاهرة عليهم فجاءوا إليه، وخشي الأبناء غائلتهم وفزعوا إليه، فأظهر لهم المناصحة وهيأ طعاماً فجمعهم له ليغدر بهم، فظهر منهم بدادويه، وهرب فيروز وخشنش، وخرج قيس في أثرهما، فامتنعا بخولان أخوال فيروز، وثار قيس بصنعاء وجبى ما حولهما وجمع الغالة من نجرد الأسود إليه. وكتب فيروز إلى أبي بكر بالخبر فكتب له بولاية صنعاء، وكتب إلى الطاهر بن أبي هالة بإعانته، والى عكاشة بن ثور بأن يجمع أهل تهامة ويقيم بمكانه، وكتب إلى ذي الكلاع سميفع وذي ظليم حوشب وذي تبان شهر بإعانة الأبناء وطاعة فيروز، وإن الجلى يأتيهم. وأرسل إليهم قيس بن مكشوح يغريهم بالأبناء، فاعتزل الفريقان، واتبعت عوامهم قيس بن مكشوح في شأنه، وعمد قيس إلى عيلات الأبناء الذين مع فيروز فغر بهم وأخرجهم من اليمن في البر والبحر وعرضهم للنهب.

فأرسل فيروز إلى بني عقيل بن ربيعة وإلى عك يستصرخهم فاعترضوا عيال فيروز والأبناء الذين معه فاستنقذوهم، وقتلوا من كان معه، وجاؤوا إلى فيروز فقاتلوا معه

قيس بن مكشوح دون صنعاء فهزموه، ورجع إلى المكان الذي كان به مع فالة الأسود العنسي. وانضاف قيس إلى عمرو بن معد يكرس وهو مرتد منذ تنبأ الأسود العنسي، وقام حيال فروة بن مسيك، وقد كان فروة وفد وأسلم وكذلك قيس، واستعمل رسول الله قيسا على صدقات مراد، وكان عمرو قد فارق لومه سعد العشيرة مع بني زبيد وأحلافها وانحاز إليهم فأسلم معهم، وكان فيهم. فلما انتقض الأسود واتبعه عوام مذحج كان عمرو فيمن اتبعه، وأقام فروة فيمن معه على الإسلام فولى الأسود عمرا وجعله بحياله.

وكانت كندة قد ارتدوا وتابعوا الأسود العنسي بسبب ما وقع بينهم وبن زياد الكندفي، في امر فريضة من فرائض الصدقة أطلقها بعض بني عمرو بن معاوية بعد أن وقع علمها مبسم الصدقة غلطا، فقاتلهم زياد وهزمهم، فاتفق بنو معاوية على منع الصدقة والردة إلا شراحيل بن السمط وابنه. وأشير على زياد بمعاجلتهم قبل أن ينضم إليهم بعض السكاسك وحضرموت وأبضحة وجمد ومشرح ومخوس وأختهم العمردة. وهرب الباقون، ورجع زياد بالسبي والغنائم، ومر بالأشعث بن قيس وبني الحرث بن معاوية، واستغاث نساء السبي فسار الأشعث وتنقذهم. ثم جمع بني معاوية كلهم ومن أطاعه من السكاسك وحضرموت وأقام على ردته، وكان أبو بكر قد حارب أهل الردة أولا بالكتب والرسل، كما حاربهم رسول الله إلى أن رجع أسامة بن زيد، ثم كان أول مصادم فخرج إلي الأبرق واستنفر من لم يرتد إلى من ارتد. وابتدأ بالمهاجرين والأنصار، ثم استنفر كلا على من يليه، حتى فرغ من آخر أمور الناس لا يستعين بمرتد. وكتب إلى عتاب بن أسيد بمكة، وعثمان بن أبي العاص بالطائف بركوب من ارتد بمن لم يرتد، وثبت على الإسلام من أهل عملها. وقد كان اجتمع بتهامة وشباب من مدلج وخزاعة فبعث عتاب إليهم ففرقهم وقتلهم، واجتمع بشنوءة جمع من الأزد وخثعم وبجيلة، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص من فرفهم وقتلهم. واجتمع بطريق الساحل من تهامة جموع من عك والأشعريين، فسار إليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق العكي فهزموهم وقتلوهم، وأقام بالأجناد ينتظر أمر أبي بكر ومعه مسروق العكي، وبعث أهل نجران من بني الأفعى الدين كانوا بها قبل بني الحرث، وهم في أربعين ألف مقاتل، وجاء وفدهم يطلبون إمضاء العهد الذي بأيديهم من النبي ، فأمضاه أبو

بكر إلا ما نسخه الوحي بأن لا يترك دينان بأرض العرب. ورجعت رسل النبي الذين كان بعثهم عند انتقاض

الاسود العنسي، وهم جرير بن عبد الله والأقرع ووبر بن مخنس، فرد أبو بكر جريرا ليستنفر من ثبت على الإسلام على من ارتد، ويقاتلوا خثعم الذين غضبوا لهدم ذي الخليفة فيقتلهم ويقيم بنجران، فنفذ ما أمره به ولم يمر به أحد إلا رجال قليل تتبعهم بالقتل، وسار إلى نجران.

وكتب أبو بكر إلى عثمان بن أبي العاص أن صرب البعوث على مخاليف أهل الطائف، فضرب على كل مخلاف عشرين، وأمر عليهم أخاه، وكتب إلى عتاب بن أبي أسيد أن يضرب على مكة وعملها خمسمائة بعث، وأمر عليهم أخاه خالدا وأقاموا ينتظرون. ثم أمر المهاجر بن أبي أمية بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ثم ينفذ إلى عمله وامره بقتال من بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك. ومر بمكة والطائف فسار معهم خالداً بن أسيد وعبد الرحمن بن أبي العاصى بمن معهما، ومر بجرير بن عبد الله وعكاشة بن ثور فضمهما إليه. ثم مر بنجران وانضم إليه فروة بن مسيك وجاءه عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح فأوثقهما وبعث بهما إلى أبي بكر وسار إلى لقائه. فتبعهم بالقتل ولم يؤمنهم، فقتلوا بكل سبيل. وحضر قيس عند أبي بكر فحظر قتل دادويه، ولم يجد أمراً جليا في امره، وتاب عمرو بن معد يكرب واستقالا فأقالهما وردهما. وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع ارتداد القبائل، فقتل من قدر عليه، وقبل توبة من رجع إليه. وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء. فجاءه الجواب بأن بسير إلى كندة مع عكرمة بن أبي جهل، وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من مهرة والازد وناجية وعبد القيس، وقوم من مالك بن كنانة وبني العبتر. وقدم أبين وأقام بها لاجتماع النخع وحمير. ثم سار مع المهاجر إلى كندة. وكتب زياد إلى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالمفازة ين مأرب وحضرموت. فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل إلى زياد ونهدوا إلى كندة، وعليهم الأشعث بن قيس فهزموهم وقتلوهم، وفروا إلى النجير حصن له فتحضنوا فيه مع من استغووه من السكاسك وشذاذ السكون وحضرموت. وسدوا عليهم الطرق إلا واحدة جاء عكرمة بعدهم فسدها، وقطعوا عنهم المدد وخرجوا مستميتين في بعض الأيام فغلبوهم وأخرجوهم. واستأمن الاشعث إلى عكرمة بما كانت أسماء بنت النعمان بن الجون تحته، فخرج إليه وجاء به إلى المهاجر وأمنه في أهله وماله وتسعة من قومه، على أن يفتح لهم الباب، فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية، فكان في السبي ألف امرأة. فلما فرغ من النجير دعا بكتاب الأمان من

الاشعث، وإذا هو قد كتب غرض نفسه في التسعة رجال من أصحابه فأوثقه كتافاً، وبعث به إلى أبي بكر ينظر في أمره. فقدم السبايا والأسرى فقال له أبو بكر: أقتلك؟ قال: أني راودت القوم على عشرة وأتيناهم بالكتاب مختومة فقال أبو بكر: إنما الصلح على من كان في الصحيفة، وأما غير ذلك فهو مردود. فقال يا أبا بكرة احتسب في وأقلني وأقبل إسلامي ورد علي زوجتي، وقد كان تزوج أم فروة أخت أبي بكر حين قدم على رسول الله وأخرها إلى أن يرجع فأطلقه أبو بكر وقبل إسلامه ورد عليه زوجته وقال: ليبلغني عنك خير. ثم خفى على القوم فذهبوا وقسم الأنفال.

بعث الجيوش للمرتدة

لما قدم أسامة ببعث الشام على أبي بكر، استخلفه على المدينة ومضى إلى الربذة، فهزم بني عبس وذبيان وكنانة بالأبرق، ورجع إلى المدينة كما قدمناه، حتى إذا استجم جند أسامة، وتاب من حوالي المدينة، خرج إلى ذي القصة على بريد من تلقاء نجد عقد فيها أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً لقتال أهل الردة، وأمر كل واحد باستنفار من يليه من المسلمين من كل قبيلة، وترك بعضها لحماية البلاد، فعقد لخالد بن الوليد وأمره لطليحة، وبعده لمالك بن نويرة بالبطاح، ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة واليمامة. ثم أردفه بشرحبيل بن حسنة وقال له: إذا فرغت من اليمامة فسر إلى قال قضاعة، والمهاجرين إلى أمية وأمره بالغالة من جنود العنسي باليمن، وبإعانة الأبناء على قيس بن مكشوح ومن معه. ثم تمضي إلى كندة بحضرموت. ولخالد بن سعيد بن العاص وقد كان فدم بعد الوفاة إلى المدينة من اليمن، وترك عماله فبعثه إلى مشارف الشام، ولعمرو بن العاص إلى قتال المرتدة من قضاعة، ولحذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة. فحذيفة لأهل دبا، وعرفجة لمهرة، وكل واحد منهما أمير في عمله على صاحبه.

ولطريفة بن حاحز وبعثه إلى بني سليم ومن معهم من هوازن، ولسويد بن مقرن وبعثه إلى تهامة اليمن، وللعلاء بن الحضرمي وبعثه إلى البحرين، وكتب إلى الأمراء عهودهم بنص واحد:

بسم الله الرحمن االرحيم

هذا عهد من أبي بكر: خليفة رسول الله لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من

رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وجهره، وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان، بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن الغارة عليهم حتى يقروا له. ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم. فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل واقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف. وإنما يقاتل من كفر بالته على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن علبه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مراغمة، لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطي إلا الإسلام. فمن أجابه واقر قبل منه وأعانه، ومن أبى قاتله فان أظهره الله عليه عز وجل قتلهم فيهم كل قتلة بالسلاح والنيران. ثم قسم ما افاء الله عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه، ويمنع اصحابه العجلة والفساد، وان يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيونا، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم. وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل، ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول انتهى.

وكتب إلى كل من بعث إليه الجنود من المرتدة كتاباً واحداً في نسخ كثيرة على يد

رسل تقدموا بين أيديهم نصه بعد البسملة: هذا عهد من أبي بكر

خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة،

أقام على الإسلام أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع إلى الضلالة والهوى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأومن بما جاء به وأكفر من أبي وأجاهده، أما بعد: ثم قرر أمر النبوة ووفاة الرسول

 وأطنب في الموعظة ثم قال: وانى بعثت إليكم فلانا في جيش

من المهاجرين والانصار والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له واقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم هدر عليه، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله. وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي فى كل مجمع لكم، والداعية للأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا فاسألوهم بما عليهم فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم

انتهى. فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم العهود وكان أول ما بدأ به خالد طليحة وبني أسد.

خبر طليحة

كان طليحة قد ارتد في حياة رسول الله ﷺ، وكان كاهنا فادعى النبوة، واتبعه أفاريق من بني إسرائيل ونزل سميراء. وبعث رسول الله ﷺ ضرار بن الأزور إلى قتاله مع جماعة، فاجتمع عليهم المسلمون، وهم ضرار بمناجزته فأتى الخبر بموت النبي ﷺ، فاستطار أمر طليحة، واجتمعت إليه غطفان وهوازن وطيء، وفر ضرار ومن معه من العمال إلى المدينة وقدمت وفودهم على أبي بكر في الموادعة على ترك الزكاة، فأبى من ذلك وخرج كما قدمناه إلى غطفان، وأوقع بهم بذي القصة، فانضموا بعد الهزيمة الى طليحة وبني أسد بالبزاخة وكذلك فعلت طيء، وأقامت بنو عامر وهوازن ينتظرون، صمد خالد إلى طليحة، ومعه عيينة بن حصن على بزاخة من مياه بني اشد، وأظهر أنه يقصد خيبر ثم ينزل إلى سلمى وأجأ فيبدأ بطيء. وكان عدى بن حاتم قد خرج معه في الجيش فقال له: أنا اجمع لك قبائل طيء يصحبونك إلى عدوك وسار إليهم فجاء بهم، وبعث خالد بن عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم من الانصار طليعة ولقيهما طليحة وأخوه فقتلاهما، ومر بهما المسلمون. فعظم عليهم قتلهما. ثم عبى خالد كتائبه، وثابت بن قيس علي الأنصار، وعدي بن حاتم على طيء، بقي القوم فقاتلهم، وعيينة بن حصن مع طليحة ليه سبعمائة من غطفان، واشتد المجال بينهم وطليحة في عباءة يتكذب لهم في انتظار الوحى، فجاء عيينة بعدما ضجر من القتال وقال: هل جاءك أحد بعد؟ قال لا! ثم راجعه ثانية ثم ثالثة فقال: جاء. وقال إن لك رحى كرحاه وحديثاً لا تنساه. فقال عيينة: يا بني فزارة الرجل كذاب وانصرف. فانهزموا وقتل من قتل، واسلم الناس طليحة فوثب على فرسه واحتقب امرأته فنجا بها إلى الشام، ونزل في كلب من قضاعة على النقع حتى أسلمت أسد وغطفان، فأسلم ثم خرج معتمرا أيام عمر ولقيه بالمدينة فبايعه، وبعثه في عساكر الشام فأبلى في الفتح ولم يصب من عيالات بني أسد في واقعة بزاخة شيء، لأنهم كانوا أخرجوهم في الحصون عند واسط وأسلموا خشية على ذراريهم.

خبر هوازن وسليم وبني عامر

كان بنو عامر ينتظرون أمر طليحة وما تصنع أسد وغطفان حتى أحيط بهم، وكان

قرة بن هبيهرة في كعب وعلقمة بن علافة في كلاب، وكان علقمة قد ارتد بعد فتح الطائف. ولما قبض النبي رجع إلى قومه بلغ أبا بكر خبره فبعث إليه سرية مع القعقاع بر عمرو من بني تميم، فأعار عليهم فأفلت وجاء بأهله وولده وقومه فأسلموا. وكان قرة بن فبيرة قد لقي عمرو بن العاص منصرفه من عمان بعد الوفاة وأضافه وقال له: اتركوا الزكاة فان العرب لا تدين لكم بالاتاوة، فغضب لها عمرو وأسمعه وأبلغها أبا بكر، فلما أوقع خالد ببني أسد وغطفان وكالا هوازن وسليم وعامر ينتظرون أموهم فجاءوا إلى خالد وأسلموا، وقبل منهم الإسلام، إلا من عدا على أحد من المسلمين أيام الردة فإنه تتبعهم، فأحرق وقحط ورضخ بالحجارة، ورمى من رؤوس الجبال. ولما فرغ من أمر بني عامر أوثق عيينة بن حصين وقرة بن هبيرة، وبث بهما إلى أبي بكر فتجاوز لهما وحقن دماءهما.

ثم اجتمعت قبائل غطفان إلى سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر بن ظفر في الحوأب فنزلوا إليها وتذمروا، وكانت سلمى هذه قد سبيت قبل واعتقتها عائشة، وقال لها النبي يوماً وقد دخل عليها وهي في نسوة ببيت عائشة فقال: إن إحداكن تستنبح كلاب الحواب، وفعلت ذلك سلمى حين ارتدت. واجتمعت إليها الفلال من غطفان وهوازن وسليم وطيء وأسد، وبلغ ذلك خالدا وهو يتبع الثأر ويأخذ الصدقات، فسار إليهم وقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقد وقتلت وقتل حول هودجاها مائة رجل فانهزموا، وبعث خالد بالفتح على أثره بعده بعشرين ليلة. وأما بنو سليم فكان الفجاءة بن عبد ياليل قدم على أبي بكر ليستعينه بسلاح مدعيا إسلامه ويضمن له قتال أهل الرذة، فأعطاه وأمره وخرج إلى الجون وارتد وبعث نجية بن أبي المثنى من بني الشريد، وأمره بشن الغارة على المسلمين في سليم وهوازن، فبعث أبو بكر إلى طريفة بن حاجز قائده على جرهم، وأعانه بعبد الله بن قيس الحاسبي، فنهضا إليه ولقياه، ففتل تحته، وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسره، وجاء به إلى أبي بكر فأوقد له في مصفى المدينة حطباً، ثم رمى به في النار مقموطا، وفاءت بنو سليم كلهم، وفاء معهم أبو شجرة بن عبد العزى أبو الخنساء وكان فيمن ارتد.

خبر بني تميم وسجاح

قبض رسول الله وعماله في بني تميم الزبرقان بن بدر على الرباب وعوف

والأبناء، وقيس بن عاصم على المقاعس والبطون، وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو على بني عمرو، ووكيع بن مالك على بني مالك، ومالك بن نويرة على بني حنظلة. فجاء صفوان إلى أبي بكر حين بلغته الوفاة بصدقات بني عمرو، وجاء الزبرقان بصدقات أصحابه، وخالفه قيس بن عاصم في المقاعس والبطون لأنه كان ينتظره. وبقي من أسلم منهم متشاغلا بمن تربص أو ارتاب. وبينما هم على ذلك فجأتهم سجاح بنت الحارث بن سويد من بني عقفان أحد بطون تغلب، وكانت تنبأت بعد الوفاة، واتبعها الهذيل بن عمران من بنى تغلب، وعقبة بن هلال في النمر، والسليل بن قيس في شيبان، وزياد بن بلال. وكان الهذيل نصرانيا فترك دينه إلى دينها، وأقبلت من الجزيرة في هذه الجموع قاصدة المدية لتغزو أبا بكر والمسلمين، وانتهت إلى الحرف، فدهم بني تميم أمر عظيم لما كانوا عليه من اختلاف الكلمة، فوادعها مالك بن نويرة وثناها عن الغزو، وحرضها على بني تميم ففروا أمامها، ورجع إليها وكيع بن مالك، واجتمعت الرباب وضبة فهزموا أصحاب سجاح وأسروا منهم. ثم اصطلحوا وسارت سجاج فيمن معها تريد المدينة، فبلغت الحجاج فاعترضهم بنو النجيم فيمن تأشب إليهم من بني عمرو وأغارو عليهم، فأسروا الهذيل وعقبة، ثم تحاجزوا على أن تطلق أسراهم، ويرجعوا ولا يجتازوا عليهم، ورجع عن سجاح مالك بن نويرة، ووكيع بن مالك إلى قومهم ويئست سجاح وأصحابها من الجواز عليهم، ونهدت إلى بني حنيفة. وسار معها من تميم الزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب وعمرو بن الأهتم وغيلان بن حريث وشبث بن زبعي ونظراؤهم. وصانعها مسيلمة بما كان فيه من مزاحمة ثمامة بن إثال له في اليمامة. وزحف شرحبيل بن حسنة والمسلمون إليه فأهدى لها واستأمنها، وكانت نصرانية أخذت الدين من نصارى تغلب. فقال لها مسيلمة: نصف الأرض لنا ونصف الأرض لقريش، لكنهم لم يعدلوا فقد جعلت نصمهم لك، ويقال إنها جاءت إليه واستأمنته وخرج إليها من الحصن إلى قبة ضربت لها بعد أن جمرها فدخل إليها، وتحرك الحرث حوالي القئة، وسجع لها وسجعت له من أسجاع الفرية. فشهدت له بالنبوة وخطبها لنفسه فتزوجته، وأقامت عنده ثلاثا ورجعت إلى قومها، فعذلوها في التزويج على غير صداق، فرجعت إليه فقال لها: نادي في أصحابك إني وضعت عنهم صلاة الفجر والعتمة مما فرض عليهم محمد، وصالحته على أن يحمل لها النصف من غلات اليمامة، فأخذته وسألت أن

يسلفها النصف للعام القابل، ودفعت الهذيل وعقة لقبضه، فهم على ذلك، واذا بخالد بن الوليد وعساكره قد أقبلوا، لانفضت جموعهم وافترقوا ولحقت سجاح بالجزيرة، فلم نزل في بني تغلب حتى نقل معاوية عام الجماعة بني عقفان عشيرتها إلى الكوفة، وأسلمت حينئذ سجاح وحسن إسلامها.

ولما افترق وفد الزبرقان والأقرع على أبي بكر وقالا: اجعل لنا خراج البحرين ونحن نضمن لك أمرها، ففعل وكتب لهم بذلك. وكان طلحة بن عبيد الله يتردد بينهم في ذلك، فجاء إلى عمر ليشهد في الكتاب فمزقه ومحاه، وغضب طلحة وقال لأبي بكر رضي الله عنه: أنت الأمير أم عمر رضي الله عنه؟ فقالى عمر: غير أن الطاعة لي! وشهد الأقرع والزبرقان مع خالد اليمامة والمشاهد كلها. ثم مضى الأقرع مع شرحبيل إلى

خبر البطاح ومالك بن نويرة

لما انصرفت سجاح إلي الجزيرة وراجع بنو تميم الإسلام أقام مالك بن نويرة متحيرا في أمره، واجتمع إليه من تميم بنو حنظلة واجتمعوا بالبطاح، فسار إليهم خالد بعد أن تقاعد عنه الأنصار يسألونه انتظار كتاب أبي بكر، فأبى إلا انتهاز الفرصة من هؤلاء، فرجعوا إلى اتباعه ولحموا به. وكان مالك بن نويرة لما تردد في أمره فرق بني حنظلة في أموالهم ونهاهم عن القتال ورجع إلى منزله. ولما قدم خالد بعث السرايا يدعون إلى الإسلام ويأتون بمن لم يحب وأن يقتلوه، فجاءوا بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، واختلفت السرية فيهم فشهد أبو قتادة أنهم أذنوا وصلوا. فحبسهم عد ضرار بن الأزور وكانت ليلة ممطرة، فنادى مناديه أن ادفئوا أسراكم، وكانت في لغته كناية عن القتل، فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانيا. وسمع خالد الداعية، فخرج متأسفا وقد فرغوا منهم. وأنكر عليه أبو قتادة، فزجره خالد فغضب ولحق بأبي بكر، ويقال إنهم لما جاءوا بهم إلى خالد خاطبه مالك بقوله : فعل صاحبكم شأن صاحبكم، فقال له خالد: أوليس لك بصاحب؟ ثم قتله وأصحابه كلهم. ثم قدم خالد على أبي بكر، وأشار عمر أن يقيد منه بمالك بن نويرة أو يعزله فأبى وقال: ما كنت أشيم سيفا سله الله على الكافرين وودى مالكاً وأصحابه، ورد خالداً إلى عمله.

خبر مسيلمة واليمامة

لما بعث أبو بكر رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة الكذاب واتبعه شرحبيل استعجل عكرمة، فانهزم وكتب إلى أبي بكر بالخبر، فكتب إليه لا ترجع فتوهن الناس، وامض الى حذيفة وعرفجة فقاتلوا مهرة وأهل عمان، فإذا فرغتم فامض أنت وجنودك واستنفروا من مررتم عليه حتى تلقوا المهاجر بن أمية باليمن وحضرموت. وكتب إلى شرحبيل أن يمضي إلى خالد، فإذا فرغتم فامض أنت إلى قضاعة فكن مع عمرو بن العاص على من ارتد منهم. ولما فرغ خالد من البطاح ورضي عنه أبو بكر بعثه نحو مسيلمة وأوعب معه الناس، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن عازب. وتعجل خالد إلى البطاح، وانتظر البعوث حتى قدمت عليه، فنهض إلى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير، يقال أربعون ألف مقاتل متفرقين في قراها وحجرها. وتعجل شرحبيل كما فعل عكرمة بقتال ميلمة، فنكب وجاء خالد فلامه على ذلك.

ثم جاء خليط من عد أبي بكر مددا لخالد ليكون ردءا له من خلفه، ففرت جموع كانت تجمعت هنالك من فلال سجاح، وكان مسيلمة قد جعل لهم جعلا. وكان الرجال بن عنفوة من أشراف بني حنيفة شهد لمسيلمة بأن رسول الله أشركه معه في الأمر، لأن الرجال كان قد هاجر وأقام مع رسول الله وقرأ القرآن وتفقه في الدين. فلما ارتد مسيلمة بعثه النبي معلماً لأهل اليمامة، ومشغباً على مسيلمة، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة منه واتبع مسيلمة على شأنه وشهد له وكان يؤذن لمسيلمة، ويشهد له بالرسالة بعد النبي ، فعظم لشأنه فيهم. وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره، وكان مسيلمة يسجع لهم بأسجاع كحيرة يزعم أنها قرآنا يأتيه، ويأتي بمخارق يزعم أنها معجزات، فيقع منها ضد المقصود. ولما بلغ مسيلمة وبني حنيفة دنو خالد خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمن، واستنفروا الناس فنفروا إليهم، وأقبل خالد ولقيه شرحبيل بن حسنة فجعله على مقدمته، حتى إذا كان على ليلة من القوم هجموا على مجاعة في سرية أربعين أو ستين راجعين من بلاد بني عامر، وبغي تميم يثأرون فيهم، فوجدوهم دون ثنية اليمامة فقتلوهم أجمعين. وقيل له استبق مجاعة بن مرارة إن كنت تريد اليمامة، فاستبقى.

ثم سار خالد ونازل بني حنيفة ومسيلمة، والرجال على مقدمة مسيلمة، واشتدت

الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد، ومجاعة بها اسير مع أم متمم زوجة خالد، فدافعهم عنها مجاعة وقالت: نعمت الحرة. صم تراجع المسلمون وكروا على بني حنيفة. فقال المحكم بن الطفيل: ادخلوا الحديقة يا بني حنيفة فإني أمنع أدباركم، فقاتل ساعة ثم قتله عبد الرحمن بن أبى بكر، ثم تذامر المسلمون، وقاتل ثابت بن قيس فقتل، ثم زيد بن الخطاب، ثم أبو حذيفة ثم سالم مولاه، ثم البراء أخو انس بن مالك. وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول. ثم يثور كالأسد فقاتل وفعل الأفاعيل.
ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون إلى الحديقة وفيها مسيلمة. فقال البراء:
القوني عليهم من أعلى الجدار، فاقتحم وقاتلهم من أعلى الحديقة، ودخل المسلمون عليهم. وقتل مسيلمة، وهو مزبد متساند لا يعقل من الغيظ. وكان زيد بن الخطاب قتل الرجال بن عنفوة. وكان خالد لما نزل بني حنيفة ومسيلمة ودارت الرحى عليه طلب البراز فقتل جماعة، ثم دعا مسيلمة للبراز والكلام، فحادثه فحاول فيه غرة وشيطانه يوسوس إليه. ثم ركبه خالد فأرهقه وأدبروا وزالوا عن مراكزهم. وركبهم المسلمون، فانهزموا. وتطاير الناس عن مسيلمة بعد أن قالوا: أين ما كنت تعدنا؟ فقال: قاتلوا على أحسابكم. وأتاه وخشي فرماه بحربة فقتل. واقتحم الناس عليه حديقة الموت من حيطانها وأبوابها، فقتل فيها سبعة عشر ألف مقاتل من بني حنيفة. وجاء خالد بمجاعة ووقفه على القتلى ليريه مسلمة فمر بمحكم فقال: هوذا ! فقال مجاعة: هذا والله خير منه. ثم أراهه مسيلمة وهو رجل ذميم أخينس ، فقال خالد: هذا الذي فعل فيكم ما فعل، فقال مجاعة: قد كان ذلك وانه والله ما جاءك إلا سرعان الناس، وإن جماهيرهم في الحصون، فهلم أصالحك على قومي.
وقد كان خالد التقط من دون الحصون ما وجد من مال ونساء وصبيان، ونادى
بالنزول عليها. فلما قال له مجاعة ذلك قال له أصالحك على ما دون النفوس وانطلق يشاوره، فأفرغ السلاح على النساء ووقفن بالسور، لم رجع إليه وقال: أبوا أن يجيزوا ذلك. ونظر خالد إلى رؤوس الحصون وقد اسودت، والمسلمون قد نهكتهم الحرب، وقد قتل من الأنصار ما ينيف على الثلاثمائة والستين، ومن المهاجرين مثلها، ومن التابعين لهم مثلها أو يزيدون، وقد فشت الجراحات فيمن بقي، فجنح إلى السلم،

فصالحه على الصفراء والبيضاء، ونصف السبي والحلقة وحائط ومزرعة من كل قرية فأبوا فصالحهم على الربع فصالحوه، وفتحت الحصون فلم يجد فيها إلا النساء والصبيان.

فقال خالد: خدعتني يا مجاعة ففال: قومي! ولم استطع إلا ما صنعت فعقد لهم وخيرهم ثلاثاً. فقال له سلمة بن عمير لا نقبل صلحاً! ونعتصم بالحصون، ونبعث إلى أهل القرى، فالطعام كثير والشتاء قد حضر، فتشاءم مجاعة برأيه وقال لهم: لولا أني خدعت القوم ما أجابوا إلى هذا فخرج معه سبعة من وجوه القوم وصالحوا خالدا وكتب لهم، وخرجوا الى خالد للبيعة والبراءة مما كانوا عليه.

وقد أضمر سلمة بن عمير الفتك بخالد فطرده حين وقعت عينه عليه، واطلع أصحابه على عذره فأوثقوه وحبسوه، ثم أفلت فأتبعوه وقتلوه. وكان أبو بكر بعث إلى خالد مع سلمة بن وقش ان اظفره الله أن يقتل من جرت عليه الموسى من بني حنيفة، فوجده قد صالحهم، فأتم عقده معهم، ووفى لهم وبعث وفدا منهم إلى أبي بكر بإسلامهم فقبلهم وسألهم عن أسجاع مسيلمة فقضوها عليه، فقال: سبحان الله هذا الكلام ما خرج إلا من إل أو بر، فأين يذهب بكم عن أحلامكم وردهم الله إلى قومهم.

ردة الحطم وأهل البحرين

لما فرغ خالد من اليمامة ارتحل إلى واد من أوديتها، وكانت عبد القيس وبكر بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قد ارتدوا بعد الوفاة، وكذلك المنذر بن ساوى من بعدها بقليل. فأما عبد القيس فردهم الجارود بن المعلى، وكان قد وفد وأسلم ودعا قومه فأسلموا فلما بلغهم خبر الوفاة ارتدوا وقالوا: لو كان نبيا ما مات، فقال لهم الجارود: تعلمون أن لله أنبياء من قبله لم تروهم، وتعلمون انهم ماتوا، ومحمد قد مات. ثم تشهد فتشهدوا معه وثبتوا على إسلامهم وخلوا بين سائر ربيعة وبين المنذر بن ساوه والمسلمين.

وقال ابن اسحاق: كان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر، وقد كان رسول الله ولاه، فلما كانت الوفاة وارتدت ربيعة ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر،- وكان يسمى المغرور- فأقاموه ملكا كما كان قومه بالحيرة، وثبت الجارود وعبد

القيس على الإسلام. واستمر بكر بن وائل على الردة، وخرج الحطم بن ربيعة أخو بني قيس بن ثعلبة حتى نزل بين القطيف وفخر، وبعث إلى دارين فأقاموا فجعل عبد القيس بينه وبينهم، وأرسل إلى المغرور بن سويد أخى النعمان بن المنذر، وبعثه إلى جواثى وقال: أثبت فإن ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة، فحاصره المسلمون بجواثى.

وجاء العلاء بن الحضرمى لقتال أهل الردة بالبحرين ومر باليمامة، فاستنفر

ثمامة بن أثال في مسلمة بني حنيفة وكان مترددأ، وألحق عكرمة بعمان ومهرة وأمر شرحبيل بالمقام حيث هو يغاور مع عمرو بن العاص أهل الردة من قضاعة، عمرو يغاور سعداً وبلق، وشرحبيل يغاور كلبا ولفها.

ثم مر ببلاد بني تميم فاستقبله بنو الرباب وبنو عمر ومالك بن نويرة بالبطاح

يقاتلهم، ووكيع بن مالك يواقف عمرو بن العاص وقيس بن عاصم من المقاعس، والبطون يواقفون الزبرقان بن بدر والأبناء وعوف، وقد أطاعوه على الإسلام، وحنظلة متوقفون. فلما رأى قيس بن عاصم يلقى الرباب وعمرو العلاء وقدم وجاء بالصدقات الى العلاء، وخرج معه لقتال البحرين، فسار مع العلاء من بني تميم مثل عسكره، ونزل هجر وبعث إلى الجارود أن ينازل بعبد القيس الحطم وقومه مما يليه.

فاجتمع المشركون إلى الحطم إلا أهل دارين، والمسلمون إلى العلاء، وخندقوا

واقتتلوا، وسمعوا في بعض الليالي ضوضاء شديدة- أي جلبة و صياحا- وبعثوا من يأتيهم بخبرها، فجاءهم بأن القوم سكارى كلا، فبيوتهم ووضعوا السيوف فيهم، وأقتحموا الخندق وفر القوم هراباً فمتمرد وناج ومقتول ومأسور. وقتل قيس بن عاصم الحطم بن ربيعة ولحق جابر بن بجير وضربه فقطع عصبه ومات، وأسر عفيف بن المنذر المغرور بن سويد وقال للعلاء : أجرني فقال له العلاء. أنت غررت بالناس ! ففال: لكني أنا مغرور! ثم أرسل وأقام بهجر. ويقال إن المغرور اسمه وليس هو بلقب. وقتل المغرور بن سويد بن المنذر،

وقسم الأنفال بين الناس، وأعطى عفيف بن المنذر وقيس بن عاصم وثمامة بن أثال من أسلاب القوم وثيابهم، وقصد الفلال إلى دارين وركبوا السفين إليها، ورجع الاخرون إلى قومهم. فكتب العلاء إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل بالقعود لأهل الردة في

السبل، وإلى خصفة التميمي والمثنى بن حارثة بمثل ذلك، فرجعوا إلى دارين وجمعهم الله بها. ثم لما جاءته كتب بكر بن وائل وعلم حسن إسلامهم أمر أن يؤتى من خلفه على أهل البحرين.

ثم ندب الناس إلى دارين أن يستعرضوا البحر، فارتحلوا واقتحموا البحر على الظهر، وكلهم يدعوا: يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا محيي الموتى يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربنا. ثم أجازوا الخليج يمشون على مثل رمل مشيا فوقها ما يغمر أخفاف الإبل في مسيرة يوم وليلة، فلقوا العدو واقتتلوا، وما تركوا بدارين مخبراً، وسبوا الذراري واستاقوا الأموال، وبلغ نفل الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين. ورجع العلاء إلى البحرين وضرب الإسلام بجرانه.

ثم أرجف المرجفون بأن أبا شيبان وثعلبة والحر قد جمعهم مفروق الشيباني على الردة. فوثق العلاء بأن اللهازم تفارقهم وكانوا مجمعين على نصره، وأتجل العلاء بالناس فرجعوا إلى من أحب المقام، وقفل ثمامة بن أثال فيهم ومروا بقيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل، فرأوا خميصة الحطم عليه فقالوا: هو قتله فقال: لم أقتله ولكن الأمير نفلنيها فلم يقبلوا وقتلوه. وكتب العلاء إلى أبي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطم قتله زيد ومسمع. فكتب إليه أبو بكر أن بلغك عن بني ثعلبة ما خاض فيه المرجفون فأبعث إليهم جنداً وأوصهم وشرد بهم من خلفهم.

ردة اهل عمان ومهرة واليمن (1)

نبغ بعمان بعد الوفاة رجل من الأزد يقال له لقيط بن مالك الأزدي يسامى في الجاهلية الجلندي ، فدفع عنها الملكين اللذين كانا بها وهما جيفر وعباد ابنا الجلندي، فارتد وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين، وبعث جيفر إلى أبي بكر بالخبر، فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن من حمير وعرفجة البارقي. حذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة، وإن اجتمعا فالأمير صاحب العمل؛ وأمرهما أن يكاتبا جيفر أو يأخذا برأ يه. وقد كان بعث عكرمة إلى اليمامة ومسيلمة ووقعت عليه النكبة كما مر، فأمره بالمسير إلى حذيفة وعرفجة ليقاتل معهما عمان ومهرة، ويتوجه إذا فرغ من ذلك الى اليمن.

فمضى عكرمة فلحق بهما قبل أن يصلا إلى عمان وقد عهد إليهم أبو بكر أن ينقوا
إلى رأي عكرمة فراسلوا جيفر وعباداً وبلغ لقيطا مجيء الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعباد بصحار. واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤساء الدين مع لقيط، فقدموا بجيوشهم ثم صمدوا إلى لقيط وأصحابه فقاتلوهم، وقد أقام لقيط عياله وراء صفوفه، وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان، فانهزم العدو وظفر المسلمون، وقتلوا نحوا من عشرة آلاف وسبوا الذراري والنساء وتم الفتح، وقسموا الأنفال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة، وكان الخمس ثمانمائة رأس.
وأقام حذيفة بعمان وسار عكرمة إلى مهرة، وقد استنفر أهل عمان ومن حولها من
ناحية الأزد وعبد القيس وبني سعيد من تميم، فاقتحم على مهرة بلادهم وهم على فرقتين يتنازعان الرياسة، فأجابه أحد الفريقين، وسار الى الآخرين فهزمهم وقتل رئيسهم. ثم أصابوا منهم ألفي نجيبة. وأفاد المسلمون قوة بغنيمتهم، وأجاب اهل تلك النواحي إلى الإسلام، وهم أهل نجد والروضة والشاطىء والجزائر والمر واللبان، وأهل جيرة وظهور الشمر والفرات وذات الخيم،
فاجتمعوا كلهم على الإسلام. وبعث إلى أبي بكر بذلك مع البشير، وسار هو إلى اليمن للقاء المهاجر بن أبي أمية كما عهد إليه أبو بكر.

بعوث العراق وصلح الحيرة

ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث إليه أبو بكر في المحرم من سنة اثنتي عشرة،
فأمره بالمسير إلى العراق ومرج الهند وهي الأبلة منتهى بحر فارس في جهة الشمال قرب البصرة، فيتألف أهل فارس ومن في مملكتهم من الأمم. فسار من اليمامة وقيل قدم على أبي بكر، ثم سار من المدينة وانتهى إلى قرية بالسواد وهي بانقيا وباروسما والليس وكالمت لابن صلوبا ، فصالحهم على عشرة آلاف دينار، فقبضها خالد ثم سار إلى الحيرة، وخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائي الأمير عليها بعد النعمان بن المنذر، فدعاعم إلى الإسلام أو الجزية أو المناجزة. فصالحوه على تسعين ألف درهم، وقيل إنما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأبلة ويدخل من أسفل العراق. وكتب إلى عياض بن غنم أن يبدأ بالمضيخ وبدخل من أعلى العراق، وأمر خالدا

بالقعقاع بن عمرو التيمي، وعياضا بن عوف الحميري. وقد كان المثنى بن حارثة الشيبانى استأذن أبا بكر في غزو العراق فأذن له، فكان يغزوهم قبل قدوم خالد. فكتب أبو بكر إليه وإلى حرملة ومدعور وسلمان أن يلحقوا بخالد بالأبلة ، وكانوا في ثمانية آلاف فارس، ومع خالد عشرة آلاف. فسار خالد في أول مقدمته المثنى وبعده عدي ين حاتم. وجاء هو بعدهما على مسيرة يوم بين كل عسكر، وواعدهما الحفير ليجتمعوا به ويصادموا عدوهم، وكان صاحب ذلك المرج من أساورة الفرس اسمه هرمز، وكان يحارب العرب في البر والهند في البحر.
فكتب إلى اردشير كسرى بالخبر وتعجل هو إلى الكواظم في سرعان أصحابه حتى
نزل الحفير، وجعل على مجنبتيه قباذ وانو شجان يناسبانه في اردشير الأكبر، واقترنوا بالسلاسل لئلا يفروا. وأروا خالداً أنهم سبقوا إلى الحفير، فمال إلى كاظمة، فسبقه هرمز إلها أيضاً. وكان للعرب على هرمز حنق لسوء مجاورته. وقدم خالد فنزل قبالتهم على غير ماء وقال: ليعيدن الماء فإن الله جاعله لأصبر الفريقين. ثم أرسل الله سحابة فاغدرت من ورائهم. ولما حطوا أثقالهم قدم خالد ودعا إلى النزال، فبرز إليه هرمز وترجل ثم اختلفا ضربتين، فاحتضنه خالد، وحمل اصحاب هرمز للغدر به، فلم يشغله ذلك عن قتله. وحمل القعقاع بن عمرو فقتلهم، وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون،
وسميت الواقعة ذات السلاسل. وأخذ خالد سلب هرمز، وكانت قلنسوته بمائة
ألف، وبعث بالفتح والأخماس إلى أبي بكر. وسار فنزل بمكان البصرة وبعث الثني بن حارثة في آثار العدو، فحاصر حصن المرأة وفتحه وأسلمت فتزوجها، وبعث معقل بن مقرن إلى الأبلة ففتحها وقيل إنما عقبة بن غزوان أيام عمر سنة أربع عشرة. ولم يتعرض خالد وأصحابه إلى الفلاحين، وتركهم وعمارة البلاد كما أمر أبو بكر به.
وكان كسرى أردشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد، أمره بقارن بن فريانس فسار من المدائن، ولما انتهى إلى الدار لقيه المنهزمون عن هرمز ومعهم قباذ وانو شجان، فتذامروا ورجعوا ونزلوا النهر، وسار إليهم خالد واقتتلوا وبرزقان ، فقتله معقل بن الأعشى بن النباش وقتل عاصم أبو شجان وقتل عدي قباذ.
وانهزمت الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين ألفا سوى من غرق، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم. وكانت الغنيمة عظيمة وأخذ

الجزية في الفلاحين، وصاروا في ذمة. ولم يقاتل المسلمين من الفرس بعد

قارن أعظم منه، وتسمى هذه الوقعة بالثني وهو النهر.

ولما جاء الخبر إلى اردشير بالهزيمة بعد الأندرزغر وكان فارساً من مولد الواد. فأرسل في أثره مع بهمن حط ذويه وحشد الأندرزغر ما بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية والدهاقين ، وعسكر بالولجة، وسار إليهم خالد فقاتلهم وصبروا. ثم جاءهم كمين من خلفهم فانهزموا ومات الأندرزغر عطشا. وبذل خالد الأمان للفلاحين فصاروا ذمة، وسبى ذراري المقاتلة ة ومن أعانهم، وأصاب اثنين من نصارى بكر بن وائل. أحدهما جابر بن بجير والآخر ابن عبد الأسود من عجل، فأسرهما وغضب بكر بن وائل لذلك.

فاجتمعوا على الليث وعليهم عبد الأسود العجلي، فكتب أردشير إلى بهمن حاذويه ، وقد أقام بعد الهزيمة بقسيناثا يأمره بالمسير إلى نصارى العرب بالليس فيكون معهم إلى أن يقدم عليهم جابان من المرازبة، فقدم بهمن على أردشير ليشاوره، وخالفه جابان إلى نصارى العرب من عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من الحيرة، وهم مجتمعون على الليث. وسار إليهم خالد حين بلغه خبرهم ولا يشعر بجابان.

فلما حط الأثقال سار إليهم وطلب المبارزة، فبرز إليه مالك بن قيس فقتله خالد

واشتد القتال بينهم، وسائر المشركين ينتظرون قدوم بهمن. ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم، وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمي نهر الدم، ووقف على طعام الأعاجم وكانوا قعودا للأكل، فنفله المسلمون. وجعل العرب يتساءلون عن الرقاق يحسبونه رقاعا، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفا. ولما فرغ من الليس سار إلى أمعيشيا فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغنم جميع ما فجها وخربها.

فتح الحيرة

ثم سار خالد إلى الحيرة، وحمل الرجال والأنفال في السفن. وخرج مرزبان الحيرة وهو الأزادية فعسكر عند الغريين ، وأرسل ابنه ليقاطع الماء على السفن فوقفت على الأرض، وسار إليه خالد فلقيه على فرات بازقلة فقلته وجميع من معه وسار نحو أبيه على الحيرة، فهرب بغير قتال لما كان بلغة من موت أردشير كسرى وقتل ابنه. ونزل خالد منزله بالغريين ، وحاصر قصور الحيرة وافتتح الديور، وصاح القسيسون والرهبان بأهل

القصور، فرجعوا على الإباية وخرج إياس بن قبيصة من القصر الأبيض وعمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن بقيلة- وكان معفراً- وسأله خالد عن عجيبة قد رآها، فقال رأيت القرى ما بين دمشق والحيرة تسافر بينهما المرأة فلا تتزود إلا رغيفا واحدا.
ثم جاءه واستقرب منه، ورأى مع خادمه كيساً فيه سم، فأخذه خالد ونثره في يده
وقال ما هذا؟ قال خشيت أن تكونوا على غير ما وجدت، فيكون الموت أحب إلي من مكروه أدخله على قومي. فقال له خالد لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها. ثم قال: باسم الله الذي لا نصير مع اسمه شيء وابتلع السم، فوعك ساعة ثم قام كأنما نشط من عقال. فقال عبد المسيح لتبلغن ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا.
ثم صالحهم على مئة أو مئتين وتسعين ألفاً وعلى كرامة بنت عبد المسيح لشريك كان النبي وعده بها إذا فتحت الحيرة، فأخذها شريك وافتدت منه بألف درهم وكتب لهم بالصلح، وذلك في أول سنة اثنتى عشرة.

فتح ما وراء الحيرة.

كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع بأهل الحيرة ة فلما صالحهم واستقاموا له
جاءته الدهاقين من كل ناحية، فصالحوه عما يلي الحيرة من الفلاليج وغيرها على ألف ألف، وقيل على ألفي ألف سوى جباية كسرى. وبعث خالد ضرار بن الأزور، وضرار ابن الخطاب والقعقاع بن عمرو والمثنى بن حارثة وعيينة بن الشماس فكانوا في الثغور وأمرهم بالغارة فمخروا السواد كله إلى شاطىء دجلة. وكتب إلى ملوك فارس:
أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم، ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم، ولو نفعل
ذلك كان شراً لكم. فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وانتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.
وكتب إلى المرازبة: أما بعد فالحمد لله الذي فض حذقكم، وفرق كلمتكم، وفل حذكم، وكسر شوكتكم تسلموا وإلا فاعتقدوا مني الذمة وأدوا الجزية وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر انتهى.
وكان العجم مختلفين بموت أردشير، وقد أزالوا بهمن حاذويه فيمن سيره في العساكر، فجبى خالد خراج السواد في خمسين ليلة، وغلب العجم عليه وأقام بالحيرة سنة يصعد ويصوب، والفرس يخلعون ويملكون، ولم يجدوا من يجتمعون عليه لأن

سيرين كان قتل جيع من تناسب إلى بهرام جور.
فلما وصلهم كتاب خالد تكلم نساء آل كسرى وولوا الفرخ زاد ابن البندوان إلى أن
يجدوا من يجتمعون عليه، ووصل جرير بن عبد الله البجلي إلى خالد بعد فتح الحيرة. وكان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام. ثم قدم على أبي بكر فكلمه أن يجمع له قومه كما وعد النبي وكانوا أوزاعاً متفرقين في العرب. فسخط ذلك منه أبو بكر فقال تكلمني بما لا يعني وأنت ترى ما نحن فيه من فارس والروم، وأمره بالمسير إلى خالد فقدم عليه بعد فتح الحيرة.

فتح الانبار وعين التمر

وتسمي هذه الغزوة ذات العيون

ثم سار خالد على تعبيته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقر بن حابس، وكان بالأنبار شيرزاد صاحب ساباط فحاصرهم ورشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين. ثم نحر ضعاف الإبل وألقاها في الخندق حتى ردمه بها، وجاز هو وأصحابه فوقها. فاجتمع المسلمون والكفار في الخندق، وصالح شيرزاد على أن يلحقوه بمأمنه، وبخلي لهم عن البلد وما فيها، فلحق بهمن جادويه.

ثم استخلف خالد على الأنبار الزبرقان بن بدر، وسار إلى عين التمر، وبها

مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العجم وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب، وحولهم طوائف من النمر وتغلب وإياد وغيرهم من العرب. وقال عقبة لبهرام دعنا وخالدا، فالعرب أعرف لقتال العرب. فدفعه لذلك واتقى به، وسار عقة إلى خالد، وحمل خالد عليه وهو يقيم صفوفه فاحتضنه وأخذه أسيراً.

وانهزم العسكر عن غير قتال وأسر أكثرهم، وبلغ الخبر إلى مهران فهرب وترك الحصن، وتحصن به المنهزمون واستأمنوا لخالد فأبى، فنزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين وعقة معهم. وغنم ما في الحصن وسبى أهليهم وأولادهم وأخذ من البيعة وهي الكنيسة غلماناً كانوا يتعلمون الإنجيل فقسمهم في الناس، منهم سيرين أبو صمد ونصير أبو موسى وحمران مولى عثمان، وبعث إلى أبي بكر بالفتح والخمس، وقتل من المسلمين عمير بن رباب السهمي من مهاجرة الحبشة وبشير بن سعد والد النعمان.

مطلب وقعة دومة الجندل

ولما فرغ خالد من عن التمر وافق وصول كتاب عياض بن غنم وهو على من بازائه من نصارى الحرب بناحية دومة الجندل وهم بهرا وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم. وكانت رياسة دومة لأكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعه يقتسمانها، وأشار أكيدر بصلح خالد فلم يقبلوا منه فخرج عنه، وبلغ خالد مسيره فأرسل من اعترضه فقتله وأخذ ما معه. وسار خالد فنزل دومة وعياض عليها من الجهة الأخرى، وخرج الجودي لقتال عياض، فانهزموا من الجهتين إلى الحصن فأغلق دونهم، وقتل الجودي وافتتح الحصن عنوة، فقتل المقاتلة وسبى الذرية.

الوقائع بالعراق

وأقام خط لد بدومة الجندل وطمع الأعاجم فى الحيرة، وملأهم عرب الجزيرة غضبا لعقة، فخرج اسواران إلى الأنبار وانتهيا إلى حصيد والخنافس، فبعث القعقاع من الحيرة عسكرين حالا بينهما وبين الريف. ثم جاء خالد إلى الحيرة، فعجل القعقاع بن عمرو وأبو ليلى بن فدكى إلى لقائهما بالحصيد، فقتل من العجم مقتلة عظيمة، وقتل الاسواران، وغنم المسلمون ما في الحصيد، وانهزمت الأعاجم إلى الخنافس وبها البهبوذان من الأساورة. وسار أبو ليلى في اتباعهم فهزم البهبوذان إلى المصيخ، وكان بهما الهذيل بن عمران وربيعة بن بجير من عرب الجزيرة، غضباً لعقة وجاءا مدداً لأهل الحصيد، فكتب خالد إلى القعقاع وأبي ليلى وأودعهما المصيخ. وسار إليهم فتوافوا هنالك وأغاروا على الهذيل ومن معه ثلاثة أوجه، فأكثروا فيهم القتل، ففر الهذيل في قليل، وكان مع الهذيل عبد العزيز بن أبي رهم من أوس مناة ولبيد بن جرير، وكانا أسلما، وكتب لهما أبو بكر بإسلامهما، فقتلا في المعركة فوداهما أبو بكر وأوص بأولاد هما.

وكان عمر يعتمد بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد، ولما فرغ خالد من الهذيل بالمصيخ واعد القعقاع وأبا ليلى إلى الثني شرقي الرصافة ليغير على ربيعة بن بجير التغلبي صاحب الهذيل الذي جاء معه لمدد الفرس ولبييتهم، فلم يفلت منهم أحداً. ثم اتبع الهذيل بعد مفره من المصيخ إلى اليسير وقد لحق هنالك بعتاب بن أشيد فبيتهم خالد قبل أن يصل إليهم خبرربيعة، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وسار إلى الرصافة

وبها هلال بن عقة فتفرق عنه أصحابه، وهرب فلم يلق بها خالد من الرضاب إلى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة، فحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح فارس، واجتمعت معهم تغلب و إياد والنمر، وصاروا إلى خالد وطلبوا منه العبور فقال اعبروا اسفل منا فعبروا، وامتاز الروم من العرب. لانهزمت الروم ذلك اليوم، وقتل نهم نحوا من مئة ألف.

وأقام خالد على الفراض إلى ذي القعدة. ثم أذن للناس بالرجوع إلى الحيرة،

وجعل شجرة بن الاغر على الساقة، وخرج من الفراض حاجا مكتتماً بحجه وذهب ليتعسف البلاد حق أتى مكة فحج ورجع، فوافى الحيرة مع جنده، وشجرة بن الأغر معهم، ولم يعلم بحجه إلا من أعلمه به وعتب به أبو بكر في ذلك لما سمعه، وكانت عقوبته إياه أن صرفه من غزو العراق إلى الشام. ثم شن خالد بن الوليد الغارات على نواحي السواد، فأغار هو على شرق بغداد وعلى قطربل وعقرقوف ومسكن وبادروبا. وحج أبو بكر في هذه السنة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

بعوث الشام

وكان من أول عمل أبي بكر بعد عوده من الحج أن بعث خالد بن سعيد بن

العاص في الجنود إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة، وقيل إنما بعثه إلى الشام لما بعث خالد بن الولد إلى العراق أول السنة التي قبلها، ثم عزله قبل ألن يسير لأنه كان لما قدم من اليمن عند الوفاة تخفف عن بيعة أبي بكر أياماً، وغدا على على وعثمان على الإستكانة لتيم، وهما رؤوس بني عبد مناف، فنهاه علي وبلغت الشيخين. فلما ولأه أبو بكر عقد له عمر فعزله وأمره أن يقيم بتيماء، ويدعو من حوله من العرب إلى الجهاد حق يأتيه أمره. فاجتمعت إليه جموع كثيرة وبلغ الروم خبره، فضربوا البعث على عرب الضاحية بالشام من بهرا وسليح وكلب وغسان ولخم وجذام، وسار إليهم خالد فغلبهم على منازلهم وافترقوا. وكتب له أبو بكر بالإقدام فسار متقدما ولقيه البطريك ماهان من بطاركة الروم، فهزمه خالد واستلحم الكثير من جنوده.

وكتب إلى أبي بكر يستمده، ووافق كتابه المستنفرين وفيهم ذو الكلاع ومعه حمير

وعكرمة بن أبي جهل ومن معه من تهامة والسرو وعمان والبحرين فبعثهم إليه. وحينئذ اهتم أبو بكر بالشام، وكان عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله تسليما إلى عمان

وعده أن يعيده إلى عمله عند فراغه من أمر عمان، فلما جاء بعد الوفاة أعاده إليها أبو بكر إنحازاً لوعده وهى صدقات سعد هذيم وبني عدرة. فبعث إليه لأن يأمره باللحاق بخالد بن سعيد لجهاد الروم وأن يقصد فقسطين، وبعث أيضا إلى الوليد بن عقبة وكان على صدقات قضاغة وولاه الأردن، وأمر يزيد بن أبي سفيان على جمهور من انتدب إليه منهم: سهيل بن عمرو وأشباهه، وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حمص وأوصى كل واحد منهم. ولما وصل المدد الى خالد بن سعيد وبلغه توجه الأمراء تعجل للقاء الروم قبلهم، فاستطرد له ماهان ودخل دمشق. واقتحم خالد الشام ومعه ذي الكلاع وعكرمة والوليد حتى نزل مرج الصفر عند
دمشق فانطوت مسالح ماهان عليه، وسدوا الطريق دونه، وزحف إليه ماهان ولقي ابنه سعيداً في طريقه فقتلوه. وبلغ الخبر أباه خالدا فهرب فيمن معه وانتهى إلى ذي المروة قرب المدينة. وأقام عكرمة ردءا من خلفهم، فرد عنهم الروم، فأقام قريباً من الشام. وجاء شرحبيل بن حسنة إلى أبي بكر وافدا من العراق من عند خالد، فندب إليه الناس وبعثه مكان الوليد إلى أردن. ومر بخالد ففصل ببعض أصحابه.

ثم بعث أبو بكر معاوية وأمره باللحاق بأخيه يزيد، وأذن لخالد بن سعيد بدخول المدينة. وزحف الأمراء في العساكر نحو المام، فعئبى هرقل عساكر الروم، ونزل حمص بعد أن أشار على الروم بعدم قتال العرب، ومصالحتهم على ما يريدون فأبوا ولجوا ثم فرقهم على أمراء المسلمين، فبعث شقيقه تذارق في تسعين ألف نحو عمرو بن العاص بفلسطين. وبعث جرجة بن توذر نحو يزيد بن أبي سفيان، وبعث الدراقص نحو شرحبيل بن حسنة بالأردن وبعث القيقار بن نسطورس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة بالجابية. فهابهم المسلمون ثم رأوا أن الاجتماع أليق بهم، وبلغهم كتاب أبي بكر بذلك، فاجتمعوا باليرموك في بضعة وعشرين ألفا. وأمر هرقل أيضا باجتماع جنوده ووعدهم بوصول ملحان إليهم ردءاً فاجتمعوا بحيال المسلمين والوادي خندق بينهم. فأقاموا بإزائه ثلاثة أشهر واستمدوا أبا بكر، فكتب إلى خالد بن الوليد أن يستخلف على العراق المثنى بن حارثة ويلحق بهم وأمره على جند الشام.

ولما استمد المسلمون أبا بكر بعث إليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثه في

السير إليهم، فنفذ خالد لذلك ووافى المسلمين مكانهم عندما وافى ماهان الروم أيضا. وولى خالد قباله، وولى الأمراء قبل الاخرين إزاءهم، فهزم ماهان وتتابع الروم على

الهزيمة، وكانوا مائتين وأربعين ألفاً وتقسموا بين القتل والطرق في الواقوصة، والهوي في الخندق، وقتل صناديد الروم وفرسانهم، وقتل تدارق أخو هرقل وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون حمص فارتحل وأجاز إلى ما وراءها لتكون بينه وبين المسلمين، وأمر عليها وعلى دمشق.

ويقال: إن المسلمين كانوا يومئذ ستة وأربعين ألفا، سبعة وعشرين منها مع الأمراء وثلاثة آلاف من بلال مع خالد بن سعيد قد أمر عليهم أبو بكر معاوية بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد، وستة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردءا بعد خالد بن سعيد. وأن خالد بن سعيد عبأهم كراديس ستة وثلاثين كردوسا لما رأى الروم تعبوا كراديس، وكان كل كردوس ألفا، وكان ذلك في شهر جمادى وأن أبا سفيان بن حرب أبلى يومئذ بلاء حسنا بسعيه وتحريضه.

قالوا: وبينما الناس في القتال قدم البريد من المدينة بموت أبى بكر وولاية عمر فأسره إلى خالد وكتمه عن الناس. ثم خرج جرجه من أمراء الروم فطلب خالدا وسأله عن أمره وأمر الإسلام، فوعظه خالد فاستبصر وأسلم، وكانت وهنأ على الروم. ثم زحف خالد بجماعة من المسلمين فيهم جرجه فقتل من يومه، واستشهد عكرمة بن أبي جهل وابنه عمر، وأصيبت عين أبي سفيان، واستشهد سلمة بن هشام وعمرو وأبان إبنا سعيد وهشام بن العاص وسيار بن سفيان والطفيل بن عمرو، وأثبت خالد بن سعيد فلا يعلم أين مات بعد. ويقال استشهد في مرج الصفر في الوقعة الأولى، ويقال إن خالداً لما جاءه من العراق مدداً للمسلمين بالشام طلب من الأدلاء أن يغوروا به حتى يخرج من وراء الروم، فسلك به رافع بن عمرو الطائي من فزارة في بلاد كلب حتى خرج إلى الشام ونحر فيها الإبل وأغار على مصيخ فوجد به رفقة فقتلهم وأسلبهم.

وقعة مرج راهط

وكان الحرث بن الأيهم وغسان قد اجتمعوا بمرج راهط، فسلك إليهم واستباحهم، هم نزل بصرى فافتتحها. ثم سار منها إلى المسلمين بالواقوصة فشهد معهم اليرموك، ويقال: إن خالداً لما جاء من العراق إلى الشام لقي أمراء المسلمين ببصرى فحاصروها جميعاً حتى فتحوها على الجزية. ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً

لعمرو بن العاص، وعمرو بالغور والروم بجلق مع تدارق أخى هرقل، وانكشفوا عن جلق إلى أجنادين وراء الرملة شرقاً. ثم تزاحف الناس فاقتتلوا، وانهزم الروم، وذلك في منتصف جمادى الأولى من
السنة وقتل فيها تدارق، ثم رجع هرقل ولقي المسلمين بالفاقوصة عند اليرموك فكانت واقعة اليرموك كما مدمنا في رجب بعد أجنادين، وبلغت المسلمين وفاة أبي بكر وإنها كانت لثمان بقين من جمادى الآخرة.

خلافة عمر رضي الله عنه

ولما احتضر أبو بكر عهد إلى عمر رضي الله عنهما بالأمر من بعده، بعد أن شاور
عليا وطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه، فأثنوا على رأيه فأشرف على الناس وقال: إني قد استخلفت عمر لم آل كم نصحا فاسمعوا له وأطيعوا. ودعا عثمان فأمره فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله عند آخر عهده بالدنيا وأول
عهده بالأخرة، في الحالة التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آل لكم خيرا، فإن صبر وعدل فذلك علمي به ورأي منه، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرىء ما اكتسب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. فكان أول ما انفذه من الأمور عزل خالد عن إمارة الجيوش بالشام وتوليه أبي عبيدة، وجاء الخبر بذلك والمسلحون مواقفون عدوهم في اليرموك، فكتم أبو عبيدة الأمر كله فلما انقضى أمر اليرموك كما مر سار المسلمون إلى فحل من أرض الأردن وبها واقعة الروم، وخالد على مقدمة الناس فقاتلوا الروم.

فتح دمشق

واقتحموها عنوة ودلك في ذي القعدة ولحقت فواقعت الروم بدمشق، وعليها ماهان
من البطارقة، فحاصرهم المسلمون حتى فتحوا دمشق وأظهر أبو عبيدة أمارته وعزل خالد. وقال سببه إن أبا بكر كان يسخط خالد بن سعيد والوليد بن عقبة من أجل فرارهما

كما مر، فلما ولي عمر رضي الله عنه أباح لهما دخول المدينة، ثم بعثهما مع الناس إلى الشام، ولما فرغ أمر اليرموك وساروا إلى فحل، وبلغ عمر خبر اليرموك، فكتب بعزل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص حتى يصير الحرب إلى فلسطين، فتولاها عمر. وإن خالدا قدم على عمر بعد العزل وذلك بعد فتح دمشق، وإنهم ساروا إلى فحل فاقتحموها ثم ساروا إلى دمشق، وعليها نسطاس بن نسطورس فحاصروها سبعين ليلة، وقيل ستة أشهر من نواحيها الأربع؛ خالد وأبو عبيدة ويزيد وعمرو كل واحد على ناحية، وقد جعلوا بينهم وبن هرقل مدينة حمص، ومن دونها ذو الكلاع في جيش من المسلمين.

وبعث هرقل المدد إلى دمشق، وكان فيهم ذو الكلاع، فسقط في أيديهم وقدموا

على دخول دمشق، وطمع المسلمون فيهم. واستغفلهم خالد في بعض الليالي فتسور سورهم من ناحيته وقتل الوليد وفتح الباب واقتحم البلد وكبر وكبروا فقتلوا جميع من لقوه. وفزع أهل النواحي إلى الأمراء الذين يلونهم فنادوا لهم بالصلح والدخول، فدخلوا من نواحيهم صلحا، فأجريت ناحية خالد على الصلح مثلهم.

قال سيف: وبعثوا إلى عمر بالفتح، فوصل كتابه بأن يصرف جند العراق إلى

العراق، فخرجوا وعليهم هاشم بن عتبة وعلى مقدمتة القعقاع، وخرج الأمراء إلى فحل وأقام يزيد بن أبي سفيان بدمشق. وكان الفتح في رجب سنة أربع عشرة. وبعث بزيد دحية الكلبي إلى تدمر، وأبا الزهراء القشيري إلى حوران والبثينة فصالحوهما وولي عليهما. ووصل الأمراء إلى بحل فبيتهم الروم، فظفر المسلمون بهم وهزموهم، فقتل منهم ثمانون ألفاً. وكان على الناس في وقعة فحل شرحبيل بن حسنة، فسار بهم إلى بيسان وحاصرها فقتل مقاتلتها، وصالحه الباقون، فقبل منهم.

وكان أبو الأعور السلمي على طبرية محاصرا لها، فلما بلغهم شأن بيسان صالحوه،

فكمل فتح الأردن صلحاً. ونزلت القواد في مدائنها وقراها، وكتبوا إلى عمر بالفتح.

وزعم الواقدى: أن اليرموك كانت سنة خمسة عشرة، وأن هرقل انتقل فيها من

إنطاكية إلى قسطنطينية، وأن اليرموك كانت آخر الوقائع. والذي تقدم لنا من رواية سيف أن اليرموك كانت سنة ثلاث عشرة، وإن البريد بوفاة أبي بكر قدم يوم هربت الروم فيه، وأن الأمراء بعد

اليرموك ساروا إلى دمشق ففتحوها، ثم كانت بعدها وقعة فحل ثم وقائع أخرى قبل شخوص هرقل والله أعلم.

خبر المثني بالعراق بعد مسير خالد إلي الشام

لما وصل كتاب أبى بكر إلى خالد بعد رجوعه من حجه بأن ينصرف إلى الشام
أميرا على المسلمين بها، ويخرج في شطر الناس ويرجع بهم إذا فتح الله عليه إلى العراق، ويترك الشطر الثانى بالعراق مع المثنى بن حارثة. وفعل ذلك خالد ومضى لوجهه، وأقام المثنى بالحيرة، ورتب المصالح، واستقام أهل فارس بعد خروج خالد بقليل على شهريار بن شيرين بن شهريار ممن يناسبه إلى كسرى أبي سابور وذلك سنة ثلاث عشرة. فبعث إلى الحيرة هرمز فاقتتلوا هنالك قتالاً شديدا بعدوة الضراء. وغار الفيل بين الصفوف فقتله المثنى وناس معه،وانهزم أهل فارس واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى انتهوا إلى المدائن ومات شهريار إثر ذلك، وبقي ما دون دجلة من السواد في أيدي المسلمين. ثم اجتمع أهل فارس من بعد شهريار على آزرميدخت ولم ينفذ لها أمر فخلعت، وملك سابور بن شهريار، وقام بأمره الفرخزاذ بن البندوان وزوجة أزرميدخت، لغضبت وبعثت إلى سياوخش الوازن، وكان من كبار الأساورة وشكت إليه، فأشار عليها بالقبول. وجاء ليلة العرس فقتل الفرخزاذ ومن معه، ونهض إلى سابور فحاصره، ثم اقتحم عليه فقتله، وملكت آزرميدخت وتشاغلوا بذلك عن ملكها.
انكهى شأن أبي بكر، وشق السواد في سلطانه، وتشاغل أهل فارس عن دفاع المسلمين عنه، ولما أبطأ خبر أبى بكر على المثنى، استخلف المثنى على الناس بشر بن الخصاصية، وخرج نحو المدينة. يستعلم ويستأذن، فقدم وأبو بكر يجود بنفسه. وقد عهد إلى عمر وأخبره الخبر، فأحضر عمر وأوصاه أن يندب الناس مع المثنى، وأن يصرف أصحاب خالد من الشام إلى العراق. فقال عمر: يرحم الله أبا بكر علم إنه تستر في إمارة خالد، فأمرني بصرف أصحابه ولم يذكره.

ولاية أبي عبيد بن مسعود علي العراق ومقتله

ولما ولي عمر ندب الناس مع المثنى بن حارثة أياماً وكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود. فقال عمر للناس: ان الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك. أين المهاجرون عن موعد الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فقال: ليظهره على الدين كله، فالله مظهر دينه ومعز ناصره ومولي

أهله مواريث الأمم. أين عباد الله الصالحون؟ فانتدب أبو عبيدة الثقفي ثم سعد بن عبيد الأنصاري ثم سليط بن قيس، فولى أبا عبيد على البعث لسبقه وقال: إسمع من أصحاب النبي وأشركهم في الأمر ولا تجتهد مسرعا بل اتئد فإنها الحرب، والحرب لا يصبحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف. ولم يمنعني أن اؤمر سليطا إلا سرعته إلى الحرب، وفي السرعة إلى الحرب- إلا عن بيان- ضياع، والله لولا سرعته لأمرته. فكان بعث أبى عبيد هذا أول بعث بعثه عمر، ثم بعث بعده بعلي بن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران، لوصية رسول الله بذلك في مرضه. وقال: أخبرهم بأنا نجليهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك فى دينان بأرض العرب، ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم وفاء بذمتهم كما أمر الله.

قالوا: فخرج أبو عبيد مع المثنى بن حارثة وسعد وسليط إلى العراق. وقد كانت

بوران بنت كسرى كلما اختلفت الناس بالمدائن عدلت بينهم حتى يصطلحوا. فلما قتل الفرخزاذ بن البندوان وملكت آزرميدخت، اختلف أهل فارس واشتغلوا عن المسلمين غيبة المثنى كلها، فبعثت بوران الى رستم تستحثه للقدوم، وكان على فرج خرسان. فأقبل في الناس إلى المدائن، وعزل الفرخزاذ وفقأ عين آزرميدخت، ونصب بوران فملكته وأحضرت مرازبة فارس فأسلموا له ورضوا به وتوجته، وسبق المثنى إلى الحيرة ولحقه أبو عبيد ومن معه.

وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين، وبعث في كل رستاق رجلا

لذلك- فكان في فرات باذقلا جابان، وفي كسكر نرسي. وبعث جند المصادمة المثنى فساروا وتألفوا واجتمعوا أسفل الفرات. وخرج المنثى من الحيرة خوفاً أن يؤتى من خلفه فقدم عليه أبو عبيد ونزل جابان النمارق ومعه جع عظيم، فلقيه أبو عبيد هنالك، وهزم الله أهل فارس. وأسر جابان ثم أطلق، وروا في المنهزمين حتى دخلوا كسكر وكان بها نرسي ابن خالد كسرى، فجع الفالة الى عسكره وسار إليهم أبو عبيد من النمارق في تعبيته، وكان على مجنبتي نرسي نفدويه وشيرويه ابنا بسطام خال كسرى، واتصلت هزيمة جابان ببوران ورستم، فبعثوا الجالينوس مددا لنرسي وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر، فاشتد القتال وانهزمت الفرس وهرب نرسي، وغنم المسلمون ما في عسكره.

وبعث أبو عبيد المثنى وعاصما فهزموا من كان تجمع من أهل الرساتيق، وخربوا

وسبوا وأخذوا الجزية من أهل السواد، وهم يتربصون قدوم الجالينوس. ولما سمع به أبو عد سار إليه على تعبيته، فانهزم الجالينوس وهرب ورجع أبو عبيد فنزل الحيرة. وقد كان عمر قال له: إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والخزي ، تقدم على قوم تجرأوا على الشر فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون. وأحرز لسانك ولا تفش سرك فإن صاحب السر- ما ضبط- متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه، وإذا ضيعه كان بمضيعة.
ولما رجع الجالينوس إلى رستم بعث بهمن حادويه ذا الحاجب إلى الحيرة، فأقبل
ومعه درفش كابيان راية كسرى عرض ثمانية أذرع في طول اثني عشر من جلود النمر، فنزل في قسي الناطف على الفرات. وأقبل أبو عد فنزل عدوته وقعد إلى أن نصبوا للفريقين جسرا على الفرات، وخيرهم بهمن حادويه في عوره أو عبورهم، فاختار أبو عبيد العبور، وأجاز إليهم وماجت الأرض بالفقاتلة، ونفر جنود المسلمين وكراديسهم من الفيلة. وأمر بالتخفيف عن الخيل، فترجل أبو عبيد والناس وصافحوا العدو بالسيوف، ودافعتهم الفيلة، فقطعوا وضنها فسقطت رحالها، وقتل من كان عليهم. وقابل أبو عبيد فيلا منهم فوطئه بيده، وقام عليه فأهلكه.
وقاتلهم الناس ثم انهزموا عن المثنى، وسبقه بعض المسلمين إلى الجسر فقطعه وقال: موتوا أو تظفروا. وتواثب بعضهم الفرات فغرقوا وأقام المثنى وناس معه مثل عروة بن زيد الخيل وأبي محجن الثقفي وأنظارهم، وقاتل أبو زيد الطائي، كان نصرانيا وقدم الحيرة لبعض أمره، فحضر مع المثنى وقاتل حينئذ حمية، ونادى المثنى الذين عبروا من المسلمين فعقدوا الجسر وأجاز بالناس، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس فانفض أصحابه إلى المدينة، وبقي المثنى في فله جريحاً، وبلغ الخبر إلى عمر فشق عليه وعذر المنهزمين. وهلك من المسلمين يومئذ أربعة آلاف قتلى وغرقى وهرب ألفان وبقي الثلاثة آلاف وقتل من الفرس ستة آلاف. وبينما بهمن حادويه يروم العبور خلف
المسلمين أتاه الخبر بأن الفرس ثاروا برستم مع الفيرزان، فرجع إلى المدائن، وكانت الوقعه في مدائن سنة ثلاث عشرة. ولما رجع بهمن حادويه اتبعه جابان ومعه مردان شاه. وخرج المنثى في أثرهما، فلما أشرف عليهما أتياه يظنان أنه هارب فأخذهما أسيرين ، وحرج أهل الليس على أصحابهما فأتوه بهم أسرى، وعقدوا معه

مهادنة وقتل جميع الأسرى.
ولما بلغ عمر رضي الله عنه عن وقعة ابن عبيد بالجسر ندب الناس إلى المثنى
وكان فيمن ندب بجيلة وأمرهم إلى جرير بن عبد الله الذي جمعهم من القبائل بعد أن كانوا مفترقين، ووعده النبي بذلك وشغل عن ذلك أبو بكر بأمر الردة ووفى له عمر به، وسيره مددا للمثنى بالعراق. وبعث عصمة بن عبد لله الضبي، وكتب إلى أهل الردة بأن يوافوا المثنى. وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فوافوا في جموع عظيمة، حتى نصارى النمر جاءوه وعليهم أنى بن هلال، وقالوا نقاتل مع قومنا. وبلغ الخبر إلى رستم والفيرزان فبعثا مهران الهمداني إلى الحيرة والمثنى بين القادسية وخفان. فلما بلغه الخبر استبقى فرات باذقلا وكتب بالخبر إلى جرير وعصمة أن يقصدوا
العذيب مما يلى الكوفة، فاجتمعوا هنالك ومهران قبالتهم عدوة الفرات، وتركوا له العبور فأجاز إليهم. وسار إليه المثنى في التبعية، وعلى مجنبتيه مهران مرزبان الحيرة ابن الأزاذبة ومردارشاه ، ووقف المثنى على الرايات يحرض الناس فأعجلتهم فارس وخالطوهم وركدت حربهم واشتدت.
ثم حصل المثنى على مهران فأزاله عن مركزه، أصيب مسعود أخو المثنى، وخالط
المثنى القلب ووثب المجنبات على المجنبات قبالتهم، فانهزمت الفرس وسبقهم المثنى إلى الجسر فهربوا مصعدين ومنحدرين، واستلحمهم خيول المسلمين، وقتل فيها مئة ألف أو يزيدون.
وأحصي مئة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة، وتبعهم المسلمون الى الليل. وأرسل المثنى في آثار الفرس فبلغوا ساباط فغنموا وسبوا ساباط واستباحوا القرى، وسخروا السواد بينهم وبين دجلة لا يلقون مانعا.
ورجع المنهزمون إلى رستم فاستهانوا ورضوا أن يتركوا ما وراء دجلة. ثم خرج
المثنى من الحيرة واستخرج بشير بن الخصاصية، وسار نحو السواد، ونزل الليث من قرى الأنبار فسميت الغزاة غزاة الأنبار الآخرة وغزاة الليس الآخرة.
وجاءت إلى المثنى عيون فدلوه على سوق الخنافس وسوق بغداد، وأن سوق الخنافس أقرب ويجتمع بها تجار المدائن والسواد وخفراؤهم من ربيعة وقضاعة، فركب إليها وأغار عليها يوم سوق، فاشتف السوق وما فيها، وسلب الخفراء ورجع إلى الأنبار

فأتوه بالعلوفة والزاد، وأخذ منهم أدلاء تظهر له المدائن وسار بهم إلى بغداد ليلا، وصبح السوق فوضع فيهم السيف، وأخذ ما شاء من الذهب والفضة والجيد من كل شيء.
ثم رجع إلى الأنبار، وبعث المضارب العجلي إلى الكباث وبه جماعة من تغلب
فهربوا عنه ولحقهم المضارب، فقتل في أخرياتهم وأكثر. ثم سرح فرات بن حيان التغلبي وعتيبة بن النفاس للإغارة على أحياء من تغلب بصفين. ثم اتبعهم المثنى بنفسه فوجدوا أحياء صفين قد هربوا عنها، فعبر المثنى إلى الجزيرة. وفني زادهم وأكلوا رواحلهم وأدركوا عيراً من أهل خفان فحضر نفر من تغلب فأخذوا المجر ودلهم أحد الخفراء على حي من تغلب، ساروا إليه يومهم وهجموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واستاقوا الأموال، وكان هذا الحي بوادي الرويحلة. فاشترى أسراهم من كان هنالك من ربيعة بنصيبهم من الفيء وأعتقوهم، وكانت ربيعة لا تسبي في الجاهلية.
ولما سمع المثنى أن جميع من يملك البلاد قد انتجع شاطىء دجلة خرج في
اتباعهم فأدركهم بتكريت ، فغنم ما شاء وعاد إلى الأنبار، ومضى عتيبة وفرات حتى أغارا على النمر وتغلب بصمين، ولمكن رعب المسلمين من قلوب أهل فارس، وملكوا ما بين الفرات ودجله.

أخبار القادسية

ولما دهم أهل فارس من المسلمين بالسواد ما دهمهم وهم مختلفون بين رستم والفيرزان واجتمع عظماؤهم وقالوا لهما: إما أن تجتمعا وإلا فنحن لكما حرب فقد عرضتمونا للهلكة ، وما بعد بغداد وتكريت إلى المدائن فأطاعا لذلك. وفزعوا إلى بوران إلي بوارن يسألونها في ولد من آل كسرى يولونه عليهم، فأحضرت لهم النساء والسراري وبسطوا علبهن العذاب، فذكروا لهم غلاماً من ولد شهريار بن كسرى اسمه يزدجرد، أخذته أمه عندما قتل شيرويه أبناء أبيه. فسألوا أمه عنه فدلتهم عليه عند أخواله كانت أودعته عندهم حينئذ، فجاءوا به ابن إحدى وعشرين سنة فملكوه واجتمعوا عليه.
وتبارى المرازبة في طاعته وعين المسالح والجنود لكل ثغر، ومنها الحيرة والأبلة والأنبار، وخرجوا إليها من المدائن. وكتب المثنى بذلك الى عمر، وبينما هو ينتظر الجواب انتقض أهل السواد وكفروا، وخرج المثنى إلى ذي قار ونزل الناس فى عسكر

واحد. ولما وصل كتابه إلى عمر قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب، فلم يدع رئيسا ولا ذا رأي وشرف وبسطه ولا خطيبا ولا شاعراً إلا رماهم به. فرماهم بوجوه الناس بل وغررهم، وكتب إلى المثنى يأمره بخروج المسلمين من بين العجم والتفرق في المياه بحيالهم، وأن يدعو الفرسان وأهل النجدان من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعا وكرها، فنزل المسلمون بالجل وسروا إلى عصي وهو جبل البصرة متناظرين.

وكتب إلى عماله على العرب أن يبعثوا إليه من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو

رأي، وخرج الى الحج؛ فحج سنة ثلاث عشرة ورجع فجاءته أفواجهم إلى المدينة، ومن كان أقرب إلى العراق انضم إلى المثنى، فلما اجتمعت عنده أمراء العرب خرج من المدينة واستخلف عليها علياً، وعسكر على صرار من ضواحيها، وبعث على المقدمة طلحة، وجعل على المجنبتين عبد الرحمن والزبير وانبهم أمره على الناس ولم يطق أحذ سؤاله، فسأله عثمان فأحضر الناس واستشارهم في المسير إلى العراق فقال العامة: سر نحن معك، فوافقهم ثم رجح إلى أصحاب رسول الله وأحضر علما وطلحة والزبير وعبد الرحمن واستشارهم فأشاروا بمقامه وأن يبعث رجلا بعده آخر من الصحابة بالجنود، حتى يفتح الله على المسلمين ويهلك عدوهم، فقبل ذلك ورأى فيه الصواب.

وعين لذلك سعد بن أبي وقاص وكان على صدقات هوازن، فأحضره وولاه حرب

العراق وأوصاه، وقال: يا سعد ابن أم سعد لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله، فإن الله لا يمحو السيء بالسئء، ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا لطاعته، فالناس في دين الله سواء، الله ربهم وهم عباده بتفاضلون بالعافية ويدركون مما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله يلزمه فالزمه، وعليك بالصبر.

ثم سرحه في أربعة آلاف مفن اجتمع إليه، فيهم حميضة بن النعمان بن حميضة

على بارق، وعمرو بن معد يكرب وأبو سبره بن أبى رهم على مذحج، ويزيد بن الحرث الصدائي على عذرة وخبب، ومسلية وبشير بن عبد الله الهلالي على قيس عيلان، والحصين بن نمير ومعاوية بن خديج على السكون وكندة. ثم أمره بعد خروجه بألفي يماني وألفي فخري.

وسار سعد وبلغه في طريقه بزرورد أن المثنى مات من جراحة انتقضت، وإنه استخلف على الناس بشير بن الخصاصية. وكانت جموع المثنى ثلاثة آلاف وكذلك أربعة آلاف من تميم والرباب، وأقاموا. وعمر ضرب على بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم، فنزلوا في ثلاثة آلاف وأقاموا بين سعد والمثنى، وسار سعد إلى سيراف فنزلها. واجتمعت إليه العساكر، ولحقه الأشعث بن قيس ومعه ثلاثون ألفا، ولم يكن أحد أجرأ على الفرس من ربيعة.

ثم عبأ سعد كتائب من سيراف وأمر الأمراء، وعرت على كل ضرة عريفا، وجعل

الرايات لأهل السابقة، ورتب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع، وكل ذلك بأمر عمر ورأيه. وبعث في المقدمة زهرة بن عبد الله بن قتادة الحيوي من بني تميم، فانتهى إلى العذيب، وعلى الميمنة عبد الله بن المعتمر وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط، وخليفة بن خالد بن عرفطة حليف بني عد شمس، وعاصم بن عمر التميمي على الساقة وسواد بن مالك التميمي على الطلائع، وسلمان بن ربيعة الباهلى على المجردة. ثم سار على التعبية ولقيه المعنى بن حارثة الشيباني بسيراف. وقد كان بعد موت أخيه المثنى سار بذي قار إلى قابوس بن قابوس بن المنذر بالقادسية. وقد بعثه الفرس إليها يستنفرون العرب، فبيته المعنى واستلحمه ومن معه، ورجع إلى ذي قار.

وجاء إلى سعد بالخبر ليعلمه بوصية المثنى إليه أن لا تدخلوا بلاد فارس وقاتلوهم

على حدود أرضهم بادىء حجر من أرض العرب. فأن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وإلا رجعتم إلى فئة، ثم تكونوا أعلم بسبيهم، وأجرأ على أرضهم، إلى أن يرد الله الكرب. فترحم سعد ومن معه على المثنى، وولى أخاه المعنى على عمله، وتزوج سلمى زوجته، ووصله كتاب عمر بمثل رأي المثنى يسأله عن سيراف ونزل العرب، ثم أتى القادسية فنزلها بحيال القنطرة بين العتيق والخندق.

ووصله كتاب عمر يؤكد عليهم في الوفاء بالأنبار ولو كان اشارة أو ملاعبة. وكان

زهرة في المقدمة، فبعث سرية للإغارة على الحيرة؛ عليها بكر بن عبد الله الليثي، وإذا أخت مرزبان الحيرة تزف إلى زوجها، فحمل بكير على ابن الأزادية فقتله وحملوا الأثقال والعروس في ثلاثين امرأة ومئة من التوابع، ومعهم ما لا يعرف قيمته. ورجعوا بالغنائم، فصبح سعد بالعذيب فقسمه في المسلمين.

ولما رجع سعد إلى القادسية أقام بها شهرا يشن الغارات بين كسكر والأنبار، ولم
يأته خبر عن الفرس، وقد بلغت أخبارهم إلى يزدجرد. وإن ما بين الحيرة والفرات نهب وخرب، فاحضر رستم ودفعه لهدا الوجه فتقاعد عنه وفال. ليسر هذا من الرأي، وبعث الجيوش يعقب بعضها بعضا أولى من مصادمة مرة، فأبى يزدجرد إلا مسيرة لذلك. فعسكر رستم بساباط، وكتب سعد بذلك إلى عمر، فكتب إليه لا يكترثنك ما
يأتيك عنهم، واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث رجالا من أهل الرأي والجلد يدعونه، فإن الله جاعل ذلك وهنا لهم. فأرسل سعد نفرا منهم النعمان بن مقرن وبشر بن أبي أدهم وجملة من حيوة وحنظلة بن الربيع وعدي بن سهيل وعطارد أبن حاجب والحرث بن حسان والمغيرة بن زرارة والأشعث بن قيس وفرات بن حبان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة فقدموا على يزدجرد وتركوا رستم، واجتمعوا بل واجتمع الناس ينظرون إليهم وإلى خيولهم وبرودهم.
فاحضرهم يزدجرد وقال لترجمانة: سلهم ما جاءكم وما أولعكم بغزونا وبلادنا؟ ست
أجل إنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا! فتكلم النعمان بن مقرن بعد أن استأذن أصحابه وقال ما معناه: إن الله رحمنا وأرسل إلينا رسولا صفته كذا يدعونا إلى كذا ووعدنا بكذا، فأجابه منا قوم وتباعد قوم. ثم أمر أن نجاهد من خالفه من العرب، فدخلوا معه على وجهين: مكره اغتبط وطائع ازداد حتى اجتمعنا عليه وعرفنا فضل ما جاء به. ثم أمرنا بجهاد من يلينا من الأمم ودعائهم إلى الإنصاف، فإن أبيتم فالمناجزة.
فقال يزدجرد لا أعلم ني الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين
منكم، وقد كان أهل الضواحي يكفوننا أمركم، ولا تطمعوا أن تقوموا للفرس، فإن كان بكم جهد أعطيناكم قوتاً وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم. فقال المغيرة بن زرارة: هؤلاء أشراف العرب ويستحيون من الاشراف، وأنا أكلمك وهم يشهدون. فأما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد، ثم
ذكر من عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبي مثلما قال النعمان الخ.
ثم قال له: إختر إما الجزية عن يد وأنت صاغر أو السيف وإلا فنج نفسك بالإسلام. فقال يزدجرد: لو قتل أحد الرسل قبلي لقتلتكم

ثم استدعى بوقر من تراب وحمل على أعظمهم وقال: ارجعوا الى صاحبكم واعلموه أني مرسل رستم حتى يدفنكم

أجمعين في خندق القادسية، ثم يدوخ بلادكم أعظم من تدويخ سابور. فقام عاصم بن عمرو فحمل التراب على عنقه وقال: إنا أشرف هؤلاء: ولما رجع إلى سعد فقال: أبشر فقد أعطانا الله تراب أرضهم. وعجب رستم من محاورتهم، وأخبر يزدجرد بما قاله عاصم بن عمر، فبعث في أثرهم إلى الحيرة فأعجزوهم.
ثم أغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد إلى يزدجرد على الفراض، فاستاق ثلاثمائة دابة بين بغل وحمار وثور وآخرها سمكة. وصبح بها العسكر، فقسمه سعد في الناس، وواصلوا السرايا والبعوث لطلب اللحم، وأما الطعام فكان عندهم كثيرا. وسار رستم إلى ساباط في ستين ألفاً، وعلى مقدمته الجالينوس في أربعين ألفاً، وساقته عشرون ألفاً، وفي الميمنة الهرمزان، وفي المسيرة مهران بن بهرام الرازي. وحمل معه ثلاثة وثلاثين فيلا، ثمانية عشر في القلب وخمسة عشر في الجنبين. ثم سار حتى نزل كوثى، فأتى برجل من العرب فقال له رستم: ما جاء بكم وما تطلبون؟ فقال نطلب وعد الله بأرضكم وبلادكم وأبنائكم إن لم تسلموا. قال رستم: فإن قتلتم دون ذلك؟ قال: من قتل دخل الجنة، ومن بقي انجزه الله وعده.
قال رستم: فنحن إذا وضعنا في أيديكم. فقال أعمالكم وضعتكم وأسلمكم الله
بها، فلا يغرنك من ترى حولك، فلست تحاول الناس إنما تحاول القضاء والقدر. فغضب وأمر به فضربت عقه، وسار فنزل الفرس، وفشا في عسكره المنكر وغصبوا الرعايا أموالهم وأبناءهم حتى نادى رستم منهم بالويل. فقال: صدق والله العربي، وأتى ببعضهم فضرب عنقه، ثم سار حتى نزل الحيرة، ودعا أهلها فعزرهم وهم بهم فقال له ابن بقيلة لا تجمع علينا ان تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا. وأرسل سعد السرايا إلى السواد، وسمع بهم رستم فبعث لاعتراضهم الفرس، وبلغ ذلك سعداً لأمدهم بعاصم بن عمر فجاءهم، وخيل فارس تحتوشهم. فلما رأوا عاصما هربوا.
وجاء عاصم بالغنائم، ثم أرسل سعد عمرو بن معد يكرب وطليحة الأسدي
طليعة، فلما ساروا فرسخا وبعضه لقوا المسالح، فرجع عمرو ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه، وهتك أطناب خيمة أو خيمتين، واقتاد بعض الخيل وخرج يعدو له فرسه. ونذر به الفرس فركبوا في طلبه إلى أن أصبح وهم في أثره، فكر على فارس فقتله ثم آخر، ثم آخر، وأسر الرابع، وشارف عسكر المسلمين فرجعوا عنه. ودخل

طليحة على سعد الفارسي ولم يخلف بعده فيهم مثلهم بل مثله فأسلم ولزم طليحة.
ثم سار رستم فنزل القادسية بعد ستة أشهر من المدائن، وكان يطاول خوفا وتقية والملك يستحثه. وكان رأى في منامه كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبي وعمر، وأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه إلى النبي ودفعه النبي إلى عمر فحزن لذلك أهل فارس في سيره. ولما وصل القادسية وقف على العتيق حيال عسكر المسلمين، والناس يتلاحقون حتى اغتموا من كثرتهم، وركب رستم غداة تلك الليلة وصعد مع النهر وصوت حتى وقف على القنطرة. وأرسل إلى زهرة فوافقه وعرض له بالصلح. وقال: كنتم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونحفظكم، ويقرر صنيعهم مع العرب، وبقول زهرة ليس أمرنا من أولئك وإنما طلبنا وهمنا الاخرة.
وقد كنا كما ذكرت، إلى أن بعث الله فينا رسولا دعانا إلى دين الحق فأجبناه.
وقال: قد سلطتكم على من لم يدن به وأنا منتقم بكم منهم، وأجعل لكم الغلبة! فقال رستم. وما هو دين الحق؟ فقال الشهادتان، واخراج الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الله وإنهم إخوان في ذلك. فقال رستم: فإن أجبنا إلى هذا ترجعون؟ فقال أي والله! فانصرف عنه رستم، ودعا رجال فارس. وذكر ذلك لهم فأنفوا. وأرسل إلى سعد أن ابعث لنا رجلا نكلمه وبكلمنا. فبث إليه ربعي بن عامر، وحبسوه على القنطرة حتى أعلموا رستم، لجلس على سرير من ذهب- وبسط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة- ورمحه مشدود بعصب- وقدم حتى انتهى إلى البساط ووطئه بفرسه، ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما، فلم يحفلوا بذلك وأظهروا التهاون. ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها.

وأشاروا إليه بوضع سلاحه، فقال: لو أتيتكم فعلت كذا بأموكم، وإنما دعوتموني.
ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه، حتى أفسد ما مر عليه من البسط. ثم دنا من رستم وجلس على الأرض، وركز رمحه على البساط وقال: إنا لا نقعد على زينتكم! فقال له الترجمان: ما جاء بكم؟ ففال الله بعثنا لنخرج عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وأرسلنا بدينه إلى خلقه، فمن قبله قبلنا منه وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفيء إلى الجنة

والظفر. فقال رستم: هل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ قال نعم! كم أحب إليك يوما أو يومين! تال لا! بل حتى نكاتب

أهل رأينا ورؤساء قومنا. لقال أن مما سن لنا رسول الله أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم واختر إما الإسلام وندعك وأرضك وإما الجزية فتقبل ونكف عنك، وإن احتجت إلينا نصرناك، والمنابذه في الرابع إلا أن تبذلوا كفيلا بهذا عن أصحابي.
قال: أسيدهم أنت؟ قال لا! ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجيز بعضهم عن بعض، يجيز أدناهم على أعلاهم فخلا رستم بروساء قومه وقال: رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل؟ فأروه الإستخفاف بشأنه وثيابه. فقال ويحكم إنما انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، والعرب تستخف اللباس وتصون الأحساب. ثم أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا ذلك الرجل، فبعث إليهم حذيفة بن محصن ففعل كما فعل الأول، ولم ينزل عن فرسه وتكلم وأحاب مثل الأول. فقال له ما قعد بالأول عنا؟ فقال أميرنا يعدل بيننا في الشدة والرخاء، وهذه نوبتي. فقال رستم: والمواعدة إلى متى؟ فقال إلى ثلاث من أمس وانصرف وخلا رستم بأصحابه يعجبهم من شأن القوم، وبعث من الغد عن آخر، فجاءه المغيرة بن شعبة. فلما وصل إليهم وهم على زيهم وبسطهم على غلو؟ من مجلس رستم، فجاء المغبرة حتى جلس معه على سريره فأنزلوه فقال لا أرى قوماً أسفه منكم إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً فظننتكم كذلك. وكان أحسن بكم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض مع إني لم آتكم وإنما دعوتموني. فقد علمت أنكم مغلوبون، ولم يقم ملك على هذه السيرة. فقالت السفلة: صدق والله العربي. وقالت الأساطين والله لقد رمانا بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله من يصغر أمر هذه الأمة. ثم تكلم رستم فعظم من أمر فارس بل من شأن فارس وسلطانهم، وصغر أمر العرب وقال: كانت عيشتكم سيئة وكنتم تقصدوننا في الجدب لنردكم بشيء من التمر والشعر، ولم يحملكم على ما صنعتم إلا ما بكم من الجهد، ونحن نعطي أميركم كسوة وبغلا وألف درهم، وكل رجل منكم حمل تمر وتنصرفون، فلست اشتهي قتلكم.
فتكلم المغيرة وخطب فقال: أما الذي وصفتنا به من سوء الحال والضيق والإختلاف فنعرفه ولا ننكره، والدنيا دول والشدة بعدها الرخاء، ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم قليلاً على مما أوتيتم، وقد أسلمكم الله بضعف الشكر إلى تغير الحال،

وأن الله بعث فينا رسولا،ثم ذكر مثلما تقدم إلى التخيير بين الإسلام أو الجزية أو القتال
ثم قال: وإن عيالنا ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه. فقال رستم: إذا تموتون دونها. فقال المغيرة: يدخل من قل منا الجنة ويظفر من بقي منا بكم، فاستشاط غضبا وحلف أن لا يقع الصلح أبداً حتى أقتلكم أجمعين.
وانصرف المغيرة وخلا رستم بأهل فارس، وعرض عليهم مصالحة القوم وحذرهم
عاقبة حربهم فلجوا، وبعث إليه سعد يعرض عليه الإسلام ويرغب، فأجابه بمثل ما كان يقول لأولئك من الإمتنان على العرب والتعريض بالمطامع، فلم يتفق شيء من رأيهم. فقال رستم: تعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟
فقالوا: بل اعبروا ! وأرسل إليهم سعد بذلك وأرادوا القنطرة، فقال سعد لا ولا
كرامة، لا نرد عليكم شيئا غلبناكم علبيه فأبى، فباتوا يسكرون العتيق بالتراب والقصب والرادع حتى جعلوا جسراً. ثم عبر رستم ونصب له سريره وجلس عليه وضرب طيارة عليه وعبر عسكره، وجعل المثلة في القلب والمجنبتين عليها الصناديق والرجال والرايات أمثال الحصون. وجعل الجالينوس بعنه وبين الميمنة والفيرزان بينه وبين الميسرة.
ورتب يزدجرد الرجال بين المدائن والقادسية، وما بينه وبين رستم رجلا على كل
دعوه تنتقل إليه ينبئهم أخبار رستم في أسرع وقت. ثم أخذ المسلمون مصافهم، واختلط سعد قصره، وكان به عرق النساء، وأصابته معه دماميل لا يستطيع معها الجلوس، فصعد على سطح القصر راكباً على وسادة في صدره وأشرف على الناس. وعاب ذلك عليه بعض الناس، فنزل واعتذر إليهم وأراهم القروح في جسده فعذروه.
واستخلف خالد بن عرفطة طى الناس، وحبس من شغب عليه في القصر
وقيدهم، وكان فيهم أبو محجن الثقفي، وقيل إنما حبسه بسبب الخمر. ثم خطب الناس وحثهم على الجهاد وذكرهم بوعد الله، وذلك في المحرم سنة أربع عشرة، وأخبرهم أنه استخلف خالد بن عرفطة. وأرسل جماعة من اهل الرأي لتحريض الناس على القتال مثل المغيرة وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس وغالب وعمرو- وصن الشعراء الشماخ والحطيئة والعبدي بل وعبدة بن الطيب وغيرهم ففعلوا.

ثم أمر بقراءة سورة الجهاد وهي الأنفال فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا
السكينة مع قراءتها، فلما فرغت القراءة قال سعد: الزموا مواقفكم. فإذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة فكبروا واستعذوا، فإذا سمعتم الثانية فكبروا وأتموا عدتكم، فإذا

سمعتم الثالثة فكبروا ونشطوا الناس، فإذا سمعتم الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله.
فلما كبر الثالثة برز أهل النجدان فانشبوا القتال، وخرج أمثالهم من الفرس فاعتوروا الطعن والضرب وارتجزوا الشعر وأول من أسر في ذلك اليوم فرمز من ملوك اللباب، وكان متوجا أسره غالب بن عبد الله الازدي، فدفعه إلى سعد ورجع إلى الحرب، وطلب البراز أسوار منهم فبرز إليه عمرو بن معد يكرب، فأخذه وجلد به الأرض، فذبحه وسلب سوارية ومنطقته. ثم حملوا الفيلة، على المسلمين، وأمالوها على بجيلة فثقلت عليهم، فأرسل سعد إلى بني أسد أن يدافعوا عنهم، فجاءه طليحة بن خويلد وحمل ابن مالك فردوا الفيلة، وخرج إلى طليحة عظيم منهم فقتله طليحة.
وعير الأشعث بن قيس كندة بما يفعله بنو أسد، فاستشاطوا ونهدوا معه، فأزالوا الذين بازائهم. وحين رأى الفرس ما لقي الناس والفيلة من بني أسد حملوا عليهم جميعاً، وفيهم ذو الحاجب والجالينوس ، وكبر سعد الرابعة، فزحف المسلمون وثبت بنو أسد.
ودارت رحى الحرب عليهم، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة ونفرت خيول المسلمين منها، فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو هل من حيلة لهذه الفيلة؟ فبعث الرماة يرشقونها بالنبل واشتد بردها آخرون يقطعون الوضن.
وخرج عاصم بجميعهم ورحى الحرب على أسد، واشتد عواء الفيلة ووقعت الصناديق فهلك أصحابها، ونفس عن أسد، واشتد عواء الفيلة ووقعت الصناديق فهلك أصحابها، وعس عن أسد أن أصيب منهم خمسمئة ، وردوا فارس إلى مواقفهم. ثم اقتتلوا إلى هدء من الليل، وكان هذا اليوم الأول وهو يوم الرماة. ولما أصبح سعد دفن القتلى وأسلم الجرحى إلى نساء يقمن عليهم، وإذا بنواحي الخيل طالعة من الشام، كان عمر بعد فتح دمشق عزل خالد بن الوليد عن جند العراق، وأمر أبا عبيدة أن يؤمر عليهم هاشم بن عتبة يردهم إلى العراق. فخرج بهم هاشم وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، فقدم القعقاع على الناس صبيحة ذلك اليوم وهو يوم أغواث. وقد عهد إلى أصحابه أن يقطعوا أعشاراً بين كل عشرين مد البصر وكانوا ألفا. فسلم على الناس وبشرهم بالجنود وحرضهم على القتال.
وطلب البراز فخرج إليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع ونادى بالثأر لأصحاب الجسر،

وتضاربا فقتله القعقاع وسر الناس بقتله، ووهنت الأعاجم لذلك. تم طلب البراز، فخرج إليه الفيرزان والبندوان. وأكثر المسلمون القتل في الفرس وأخذوا الفيلة عن القتال لأن نوابتها تكسرت بالأمس، فاستأنفوا عملها. وجلل القعقاع إبلاً وجعل عليها البراقع، وأركبها عشرة عشرة، وأطاف عليها الخيول تحميها، وحملها على خيل الفرس فنفرت منها، وركبتهم خيول المسلمين. ولقي الفرس من الإبل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة. وبرز القعقاع يومئذ في ثلاثين فارسا في ثلاثين حملة فقتلهم، كان آخرهم بزرجمهر الهمداني. وبارز الأعور بن قطنة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه.

ولما انتصف النهار تزاحف الناس فاقتتلوا إلى انتصاف الليل، وقتلوا عامة أعلام فارس. ثم أصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم بين الصفين من المسلمين ألف جريح وقتيل، ومن المشركين عمرة آلاف. فدفن المسلمون موتاهم وأسلموا الجرحى إلى النساء، ووكلوا النساء والصبيان بحفر القبور، وبقي قتلى المشركين بين الصفين. وبات القعقاع يسرب أصحابه إلى جث فارقهم بالأمس، وأوصاهم إذا طلعت الشمس أن يقبلوا مئة مئة، يجدد بذلك الناس، وجاء بينهما يلحق هاشم بن عتبة.

فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع، فتقدموا والمسلمون يكبرون.

فتزاحفت الكتائب طعناً وهربا. وما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى لحق هاشم فعبى أصحابه سبعين سبعين، وكان فيهم قيس بن المكشوح، فلما خالط القلب كبر وكبر المسلمون، ثم كبر فخرق الصفوف إلى العتيق. ثم عاد وقد أصبح الفرس على مواقفهم، وأعادوا الصناديق على الفيلة، وأحدقوا الرجال بما يحمونها أن تقطع وضنها، وأقام الفرسان يحمون الرجالة، فلم تنفر خيل المسلمين منها. وكان هذا اليوم يوم عماس، وكان شديدا إلا أن الطائفتين فيه سواء. وأبلى فيه قيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب. ثم زحفت الفيلة وفرقت بين الكتائب، وأرسل سعد إلى القعقاع وعاصم أن أكفياني الأبيض وكان بازائهما. وإلى محمل والدميل أن أكفياني الأجرب وكان بازائهما. فحملوا على الفيلين فقتل الأبيض ومن كان عليه، وقطع مشفر الأجرب، وفقئت عينه، وضرب سائسة الدميل بالطير زين، فأفلت جريحا. وتحير الأجرب بين الصفين وألقى نفسه في العتيق، واتبعته الفيلة وفرقت صفوف الأعاجم في أثره، وقصدت المدائن بوثوبها، وهلك جميع من فجها.

وخلص المسلمون والفرس فاختلفوا على سواء إلى المساء، واقتتلوا بقية ليلتهم
وتسمى ليلة الهرير. فأرسل سعد طليحة وعمر إلى مخاضة أسفل العسكر يقومون عليها خشية أن يؤتى المسلمون منها، فتشاوروا أن يأتوا الأعاجم من خلفهم، فجاء طليحة وراء العسكر وكبر. فارتاع أهل فارس فأغار عمر أسفل المخاضة ورجع، وزاحفهم الناس دون إذن سعد. وأول من زاحفهم من الناس دون إذن لد زاحفهم القعقاع وقومه فحمل عليهم ثم حمل بنو أسد النخع من بجيلة ثم كندة، وسعد يقول في كل واحدة اللهم اغفر لهم وانصرهم. وقد كان قال لهم إذا كبرت ثلاثاً فاحملوا، فلما بهر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا بعد صلاة العشاء، واختلطوا وصليل الحديد كصوت القرن إلى الصباح.
وركدت الحرب وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم. وأقبل سعد على
الدعاء وسمع نصف الليل صوت القعقاع في جماعة من الرؤساء إلى رستم، حتى خالطوا صفه مع الصبح، فحمل الناس من كل جهة على من يليهم، واقتتلوا إلى قائم الظهيرة. فناجز الفيرزان والهرمزان بعض الشىء، وانفرج القلب وهبت ريح عاصف فقلبت طيارة رستم عن سريره فهوت فى العتيق. وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير وقد قام رستم عنه فاستظل في ظل بغل فحمله، وضرب هلال بن علقمة الحمل، فوقع أحد العدلين على رستم فكسر ظهره، وضربه هلال ضربة نفحت مسكا، وهرب نحو العتيق ورمى بنفسه فيه. فاقتحم هلال عليه وجزه برجله فقتله وصعد السريروقال؟ قتلت رستم ورب الكعبة- إلي! إلي! فأطافوا به وكبروا.
وقيل: إن هلالا لما قصد رستم رماه بسهم فأثبت لدمه بالركاب، ثم حمل عليه
فقتله واحتز رأسه ونادى في الناس قتلت رستم! فانهزم قلب المشركين. وقام الجالينوس على الردم، ونادى الفرس إلى العبور وتهافت المقترنون بالسلاسل في العتيق وكانوا ثلاثين ألفا هلكوا. وأخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس العظيمة وهي درفش كابيان فعوض منها ثلاثين ألفاً، وكانت قيمتها ألف ألف ومئة ألف. وقتل ذلك اليوم من الأعاجم عشرة آلاف في المعركة، وقتل من المشركين في ذلك اليوم ستة آلاف دفنوا في الخندق حيال مسرق سوى ألفين وخمسمائة قتلوا ليلة الهرير، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يجمع قبله ولا بعده مثله.

ونفل سعد هلال بن علقمة سلب رستم، وامر القعقاع وشرحبيل باتباع العدو، وقد

كان حرج زهرة بن حيوة قبلها في أثره فلحق الجالينوس بجمع المنهزمين فقتله وأخذ سلبه. فتوقفا سعد من عطائه وكتب إلى عمر فكتب إليه: تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صفى به وقد بقي عليك من حربك ما بقي نفسد قلبه. امض له سلبه وفضله على أصحابه في العطاء بخمس مئة. ولحق سليمان بن ربيعة الباهلي وأخوه عبد الرحمن بطائفة من الفرس قد استماتوا فقتلوهم، واستمات بعد الهزيمة بضعة وثلاثون رئيسا من المسلمين فقتلوهم أجمعين.

وكان ممن هرب من أمراء الفرس الهرمزان والفرزاد بن بيهس وقارن. وممن استمات فقتل شهريار بن كبار. وأسر المدمرون والفردان الأهوازي وخشرشوم الهمداني. وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبمن أصيب من المسلمين. وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله.

فلما لقي البشير قال من اين؟ فأخبره فقال حدثني ففال: هزم الله المشركين. ففرح

بذلك وأقام المسلمون بالقادسية ينتظرون كتاب عمر، إلى أن وصلهم بالإقامة وكانت وقعة القادسية سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة.

فتح المدائن وجلولاء بعدها

ولما انهزم أهل فارس بالقادسية انتهوا إلى بابل وهديل وفيهم بقايا الرؤساء النخيزجان ومهران الأهوازي والهرموان وأشباههم، واستعملوا عليهم الفيرزان. وأقام سعد بعد الفتح شهرين، وسار بأمر عمر إلى المدائن، وخفف العيال بالعتيق في جند كثيف حامية لهم، وقدم بين يديه زهرة بن حياة وشرحبيل بن الصمت وعبد الله بن المعتمر ولقبهم بعض عساكر الفرس فهزموهم حتى لحقوا ببابل. ثم جاء سعد وسار في التبيعة ونزلوا على الفيرزان ومن معه ببابل، فخرجوا وقاتلوا المسلمين فانهزموا وافترقوا فرقتين. ولحق الهرمزان بالاهواز والفيرزان بنهاوند، وبها كنوز كسرى. وسار النخيزجان ومهران إلى المدائن لتحصنوا وقطعوا الجسر. ثم سار سعد من

بابل على التعبية وزهرة في المقدمة. وقدم بين يديه بكير بن عبد الله الليثى وكثير بن شهاب السبيعي حنى عبرا ولحقا بأخريات القوم فقتلا في طريقهما أسوارين من أساورتهم ثم تقدموا إلى كوثي وعليها شهريار، خرج لقتالهم فقتل وانهزم أصحابه فافترقوا في

البلاد، وجاء سعد فنفل فاتله سلبه.
وتقدم زهرة إلى ساباط فصالحه أهلها على الجزية وهزم كتيبة كسرى ثم نزلوا جميعا على بهرشير من المدائن، ولما عاينوا الإيوان كبروا وقالوا: هذا أبيض كسرى، هذا ما وعد الله. وكان نزولهم عليها ذا الحجة سنة خمس عشرة، فحاصروها ثلاثة أشهر ثم اقتحموها، وكانت خيولهم تغير على النواحي، وعهد إليهم عمر أن من أجاب من الفلاحين ولم يعن عليهم فذلك أمانه، ومن هرب فأدرك فشأنكم به، ودخل الدهاقين من غربي دجلة وأهل السواد كلهم في أمان المسلمين، واغتبطوا بملكهم واشتد الحصار على بهرشير ونصبوا عليها المجانيق، واستلحموهم في المواطن، وخرج بعض المرازبة يطلب البراز، فقاتله زهرة بن حيوة فقتلا معا.
ويقال: إن زهرة قتله شبيب الخارجى أيام الحجاج.
ولما ضاق بهم الحصار وركب إليهم الناس بعض الأيام، فلم يروا على الأسوار
أحدا إلا رجلا يشير إليهم فقال: ما بقي بالمدينة أحد، وقد صاروا إلى المدينة القصوى التي فيها الإيوان. فدخل سعد والمسلمون وأرادوا العبور إليهم فوجدوهم جمعوا المعابر عندهم، فأقام أياما من صبر، ودله بعض العلوج على مخاضة في دجلة فتردد فقال له: أقدم فلا تأتي عليك ثلاثة إلا ويزدجرد قد ذهب بكل شيء فيها.
فعزم سعد على العبور وخطب الناس وندبهم إلى العبور ورغبهم، وندب من يجيز أن لا يجيء الفراض حتى يجيز إليه الناس. فانتدب عاصم بن عمرو في ستمائة، واقتحموا دجلة فلقيهم أمثالهم من الفرس عند الفراض، وشدوا عليهم فانهزموا وفتل أكثرهم وعوروا من الطعن في العيون. وعاينهم المسلمون على الفراض،
فاقتحموا في أثرهم يصيحون: نستعين بالته ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
وساروا في دجلة وقد طبقوا ما بين عدوتيها وخيلهم سابحة بهم، وهم يهيمنون تارة ويتحادثون أخرى، حتى أجازوا البحر ولم يفقدوا شيئا إلا قدحا لبعضهم غلبت صاحبه جرية الماء، وألفته الريح إلى الشاطىء. ورأى الفرس عساكر المسلمين قد أجازوا البحر فخرجوا هاربين إلى حلوان. وكان يزدجرد قدم إليها قبل ذلك عياله، ورفعوا ما قدروا عليه من عرض المتاع وخفيفه، ومن بيت المال والنساء والذراري، وتركوا بالمدائن من الثياب والأمتعة والآنية والألطاف ما لا تحصى قيمته. وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف

ألف محررة ثلاث مرات، تكون جملتها ثلاثمائة ألف قنطار من الدنانير. وكان رستم عند مسيره إلى القادسية حمل نصفها لنفقات العساكر وألقى النصف، واقتحمت العساكر المدينة يجولون في سككها لا يلقون بها أحدا. وأرز سائر الناس القصر الأبيض حتى توثقوا لأنفسهم على الجزية.
ونزل سعد القصر الأبيض، واتخذ الإيوان به هصلى، ولم يغير ما فيه من التماثيل.
ولما دخله قرأ: (كم تركوا من جنات وعيون) الآية. وصفى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصلن بينهن، وأتم الصلاة بنية الإقامة.
وسرح زهرة بن حيوة في آثار الأعاجم إلى النهروان وقراها من كل جهة. وجعل على الاخماس عمرو بن عمرو بن مقرن، وعلى القسم سلمان بن ربيعة الباهلي، وجمع ما كان في القصر والإيوان والدور، وما نهبه أهل المدائن عند الهزيمة. ووجدوا حلية كسرى: ثيابه وخرزاته وتاجه ودرعه التي كان يجلس فيها للمباهاة، أخذ ذلك من أيدي الهاربين على بغلين، وأخذ منهم أيضا وقر بغل من السيوف وآخر من الدروع والمغافر منسوبة كلها درع هرقل، وخاقان ملك الترك، وداهر ملك الهند، وبهرام جور وسياوخش والنعمان بن المنذر، وسيف كسرى وهرمز وقباذ وفيروز وهرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان أحضرها القعقاع.
وخيره في الأسياف، فاختار سيف هرقل، وأعطاه درع بهرام، وبعث إلى عمر
سيف كسرى والنعمان وتاج كسرى وحليته وثيابه ليراها الناس.
وقسم سعد الفيء بين المسلمين بعدما خمسه وكانوا ستين ألفا، فأصاب للفارس إثنا عشر ألفاً، وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل. ونمل من الأخماس في أهل البلاد وقسم المنازل بين الناس واستدعى العيلات من العتيق فأنزلهم الدور، ولم يزالوا بالمدائن حتى نم فتح جلولاء وحلوان وتكريت والموصل. واختطت الكوفة فتحولوا إليها. وأرسل سعد في الخمس كل شيء يعجب العرب منهم أن يصنع إليهم، وحضر إليهم نهار كسرى وهو الغطف ، وهو بساط طوله ستون ذراعا في مثلها مقدار مزرعة جريب في أرضه، وهي منسوجة بالذهب طرقا كالأنهار، وتماثيل خلالها بصدف الدر والياقوت، وهي حافاتها كالأرض المزدرعة والمقبلة بالنبات، ورقها من الحرير على فضبان الذهب، وزهره حبات الذهب والفضة، وثمره الجوهر، كانت الأكاسرة يبسطونه في الإيوان في فصل الشتاء عند فقدان الرياحين يشربون عليه، فلما قدمت الأخماس على عمر قسمها في الناس ثم قال: اشيروا على في

هذا الغطف، فاختلفوا وأشاروا على نفسه فقطعه بينهم، فأصاب علي قطعة منه باعها بعشرين ألفا، ولم تكن بأجودها.
وولى عمر سعد بن أبي وقاص على الصلاة والحرب فيما غلب عليه، وولى حذيفة بن اليمان على سقي الفرات، وعثمان بن حنيف على سقي دجلة، ولما انتهى الفرس بالهرب إلى جلولاء، وافترقت الطرق من هنالك بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس وقضوا هنالك خشية الافتراق، واجتمعوا على مهران الرازي، وخندقوا على أنفسهم وأحاطوا الخندق بجسره الحديد، وتقدم يزدجرد إلى حلوان وبلغ ذلك سعدا، فكاتب عمر بدلك يأمره أن يسرح إلى الفرس بجلولاء هاشما ابن أخيه عتبة في اثني عشر ألفاً، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، وأن يولى القعقاع بعد الفتح ما بين السواد والجبل.
فسار هاشم من المدائن لذلك في وجوه المسلمين وأعلام العرب حتى قدم
جلولاء، فأحاط بهم وحاصرهم في خنادقهم، وزاحفوهم ثمانين يوما ينصرون عليهم في كلها، والمدد متصل من هاهنا وهاهنا. ثم قاتلوهم آخر الأيام فقتلوا منهم أكثر من ليلة الهرير، وأرسل الله عليهم ريحا وظلمة فسقط فرسانهم في الخندق وجعلوه طرقاً مما يليهم، ففسد حصنهم، وشعر المسلمون بذلك، فجاءه القعقاع إلى الخندق فوقف على بابه.
وشاع في الناس أنه أخذ في الخندق، فحمل الناس حملة واحدة انهزم المشركون لها، وافترقوا ومروا بالجسرة التي تحضوا بها، فعقرت دوابهم فترجلوا ولم يفلت منهم إلا القليل. يقال: إنه قتل منهم يومئذ مئة ألف، واتبعهم القعقاع بالطلب إلى خانقين، وأجفل يزدجرد من حلوان الى الري، واستخلف عليها خشرشوم وجاء القعقاع الى حلوان فبرز إليه خشرشوم وعلى مقدمته الرمي فقتله القعقاع وهرب خشرشوم من ورائه، وملك القعقاع حلوان وكتب إلى عمر بالفتح واستأذنه في اتباعهم فأبى وقال: وددت أن بين السواد والجبل سدا حصيناً من ريف السواد، فقد آثرت سلامة المسلمين على الأنفال، وأحصيت الغنيمة فكانت ثلاثين ألف ألف، فقسمها سلمان بن ربيعة. يقال إنه أصاب الفارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب، وبعثوا بالأخماس إلى عمر مع زياد ابن أبيه.
فلما قدم الخمس قال عمرة والله لا يجنه سقف حتى أقسمه فجعله في المسجد،
وبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانه، ولما أصبح جاء في الناس

ونظر إلي ياقوتة وجوهرة فبكى. فقال عد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، وهذا موطن شكر؟ قال: والله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا فيلقي الله بأسهم بينهم، ومنع عمر من قسمة السواد ما بين حلوان والقادسية فأقره حبسا، واشترى جرير بعضه بشاطىء الفرات فرد عمر الشراء.

ولما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن بلغهم أن أدين بن الهرامون جمع جمعاً

وجاء بهم إلى السهل، فبعث إليه ضرار بن الخطاب في جيش فلقيهم بماسبدان فهزمهم، وأسر أدين فقتله، وانتهى في طلبه إلى النهروان وفتح ماسبدان عنوة، ورد إليها أهلها ونزلى بها، فكانت أحد فروج الكوفة، وليل كان فتحها بعد نهاوند والله سبحانه أعلم.

ولاية عتبة بن غزوان علي البصرة

كان عمر عندما بعث المثنى إلى الحيرة بعث قتبة بن قتادة السلوسي إلى البصرة،

فكان يغير بتلك الناحية. ثم استمد عمر فبعث إليه شريح بن عامر بن سعد بن بكر، فأقبل إلى البصرة ومضى إلى الأهواز ولقيه مسلحة الأعاجم فقتلوه. فبعث عمر عتبة بن كزوان والياً على تلك الناحية، وكتب إلى العلاء بن الحضرمى أن يمده بعرفجة بن هرثمة، وأمره أن يقيم بالتخم بين أرض العرب وأرض العجم.

فانتهى إلى حيال الجسر وبلغ صاحب الفرات خبرهم، فأقبل في أربعة آلاف وعتبة في خمسمائة، والتقوا فقتلوا الأعاجم أجمعين، وأسروا صاحب الفرات.

ثم نزل البصرة في ربيع سنة أربعة عشرة، وقيل: إن البصرة بصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت. أرسل سعد إليها عتبة فأقام بها شهرا وخرج إليه أهل الأبلة، وكانت مرفأ للسفن من الصين فهزمهم عتبة واحجرهم في المدينة، ورجع إلى عسكره ورعب الفرس فخرجوا عن الأبلة وحملوا ما خف وخلوا المدينة وعبروا النهر ودخلها المسلمون، فغنموا ما فيها واقتسموه. ثم اختط البصرة وبدأ بالمسجد فبناه بالقصب وجمع له أهل دست ميان، فلقيهم عتبة فهزم وأخذ مرزبانها أسيراً، وأخذ قتادة منطقته فبعث بها إلى عمر. وسأل عنهم فقيل له انثالث عليهم الدنيا، فهم يهيلون الذهب والفضة، فرغب الناس في البصرة وأتوها.

ثم سار عتبة إلى عمر بعد أن بعث مجاشع بن مسعود في جيش إلى الفرات

واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة إلى قدوم مجاشع وجاء ألف بيكان من عظماء الفرس إلى المسلمين، ولقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب ، وبينما هم في القتال إذ لحق بهم النساء وقد اتخذن خمرهن رايات، فانهزم الأعاجم وكتبوا بالفتح إلى عمر، فرد عتبة إلى عمله فمات في طريقه. وقيل: إن إمارة عتبة كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة، فوليها ستة أشهر، واستعمل عمر بعده المغيرة بن شعبة سنتين. فلما رمي بما رمي به عزله، واستعمل أبا موسى وقيل استعمل بعده عتبة أبا سبرة وبعده المغيرة.

وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام بعدها

لما انهزم الروم بفحل سار أبو عبيده وخالد إلى حمص واجتمعوا بذي الكلاع في طريقهم، وبعث هرقل توذر البطريق للقائهم فنزلوا جميعا بمرج الروم وكان توذر بازاء خالد وشمر بطريق آخر بازاء أبي عبيدة وأمسوا مستترين. ثم أصبح فلم يجدوا توذر وسار إلى دمشق واتبعه خالد، واستقبله يزيد من دمشق فقاتله، وجاءه خالد هن خلفه فلم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم. وقاتل ششس أبو عبيدة بعد مسيرة خالد، فانهزم الروم وقتلوا واتبعهم أبو عبيدة إلى حمص ومعه خالد، فبلغ ذلك هرقل، فبعث بطريق حمص إليها، وسار هو في الرها، فحاصر أبو عبيدة حمص حتى طلبوا الأمان فصالحهم.

وكان هرقل يعدهم في حصارهم المدد، وأمر أهل الجزيرة بإمدادهم فساروا

لذلك. وبعث سعد بن أبي وقاص العساكر من العراف فحاصروا هيت وقرقيسيا فرجع أهل الجزيرة إلى بلادهم، ويئس أهل حمص من المدد فصالحوا على صلح أهل دمشق، وأنزل أبو عبيدة فيها السمط بن الأسود في بني معاوية من كندة، والأشعث بن قيس في السكون، والمقداد في بلي وغيرهم. وولى عليهم أبو عبيدة بن الصامت وصار إلى حماة فصالحوه على الجزية عن رؤوسهم، والخراج عن أرضهم. ثم سار نحو شيزر فصالحوا كذلك، ثم إلى المعرة كذلك. ويقال معرة النعمان وهو النعمان بن بشير الأنصاري.

ثم سار إلى اللاذقية ففتحها عنوة ثم سلمية ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فاعترضه ميناس عظيم الروم بعد هرقل فهزمهم خالد وأثخن فيهم ونازل قنسرين حتى افتتحها عنوة وخربها. وأدرب إلى هرقل من ناحيته، وأدرب عياض بن غنم

كذلك، وأدرب عمر بن مالك من الكوفة إلى قرقيسيا، وأدرب عبد الله بن المعتمر من الموصل. فارتحل هرقل إلى القسطنطينية من أمدها، وأحذ أهل الحصون بين الإسكندرية وطرسوس وشعبها أن ينتفع المسلمون بعمارتها. ولما بلغ عمر صنيع خالد قال أمر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم منهي بالرجال. وقد كان عزل خالداً والمثنى بن حارثة خشية أن يداخلهما كبر من تعظيم فوكلوا إليه. ثم رجع عن رأيه في المثنى عند قيامه بعد أبي عبيد، وفي خالد بعد قنسرين، فرجع خالد إلى إمارته.
ولما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب، وبلغه أن أهل قنسرين غدروا فبعث
إليهم السمط الكندي فحاصرهم وفتح وغنم. ووصل أبو عبيدة إلى حاضر حلب وهو موضع قريب منها، يجمع أصنافا من العرب.، فصالحوا على الجزية، ثم أسلموا بعد ذلك.
ثم أتى حلب وكان على مقدمته عياض بن غنم الفهري، فحاصرهم حتى صالحوه
على الأمان وأجاز ذلك أبو عبيدة، وقيل صولحوا على مقاسمة الدور والكنائس، وقيل انتقلوا إلى أنطاكية حتى صالحوا ورجعوا إلى حلب- ثم سار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية ويها جمع كبسر من فل قنسرين وغيرهم ولقوه قريبا منها فهزمهم وأحجرهم بالمدينة وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء أو الجزية، ورحل عنهم. ثم نقضوا فبعث أبو عبيدة إليهم عياض بن عنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول، وكانت عظيمة الذكر. فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتب فيها حامية مرابطة، ولا يؤخر عنهم العطاء.
ثم بلغ أبا عبيدة أن جمعا بالروم بين معرة مصرين وحلب، فسار إليهم فهزمهم،
وقمل بطارقتهم وأمعن بل وأثخن فيهم، وفتح معرة مصرين على صلح حلب. وجالت خيوله فبلغت سرمين وتيرى وغلبوا على جميع أرض قنسرين وأنطاكية. ثم فتح حلب ثانية وسار يريد قورس، وعلى مقدمته عياض فصالحوه على صلح أنطاكية. وبث حيله ففتح تل نزار وما يليه. ثم فتح منبج على يد سلمان بن ربيعة الباهلي. ثم بعث عياضاً إلى دلوك وعينتاب فصالحهم على مثل منبج، واشترط عليهم أن يكونوا عوناً للمسلمين. وولى أبو عبيدة على كل ما فتح من الكور عاملا وضم إليه جماعة، وشحن الثغور المخوفة بالحامية. واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات.